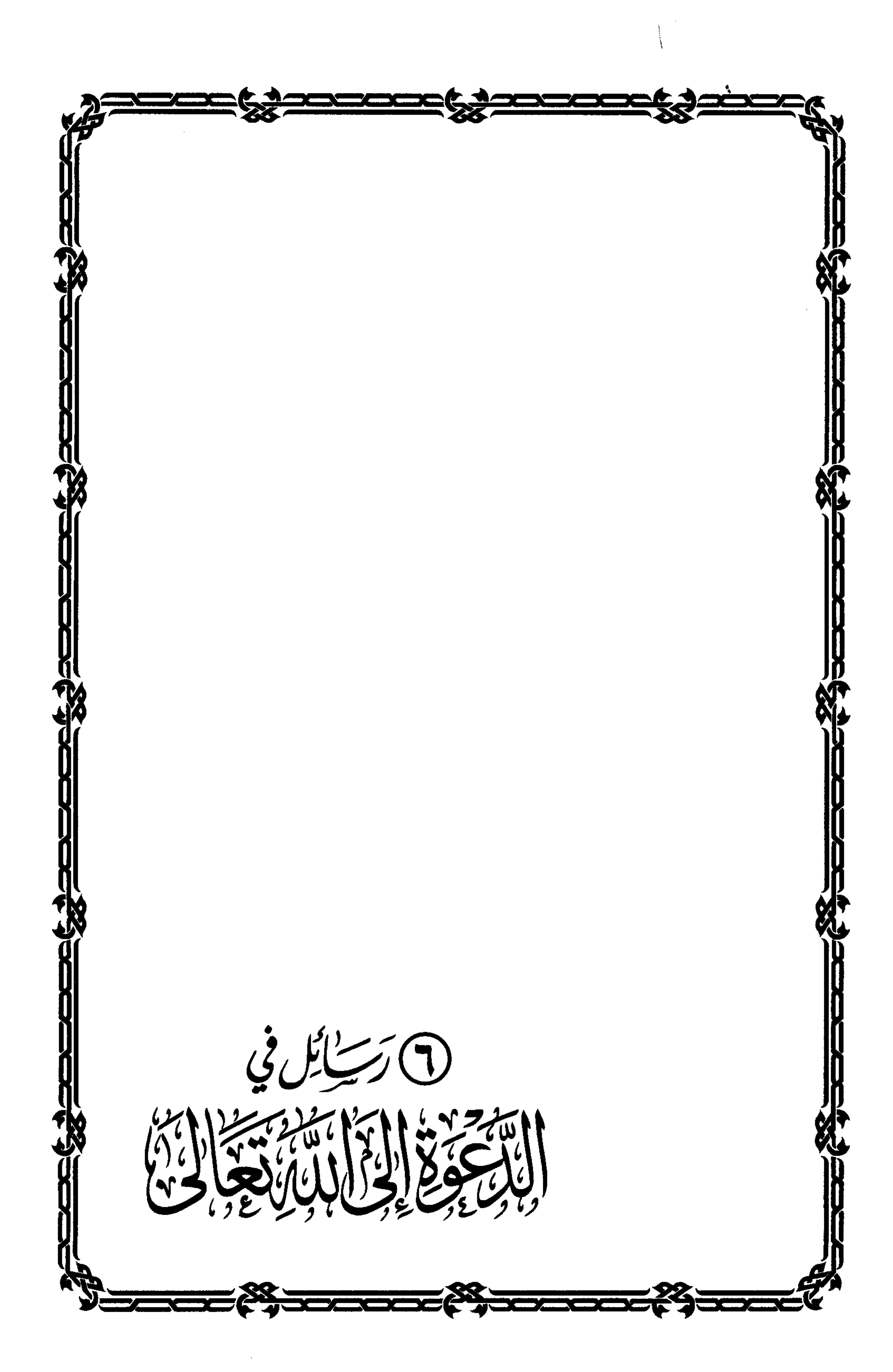
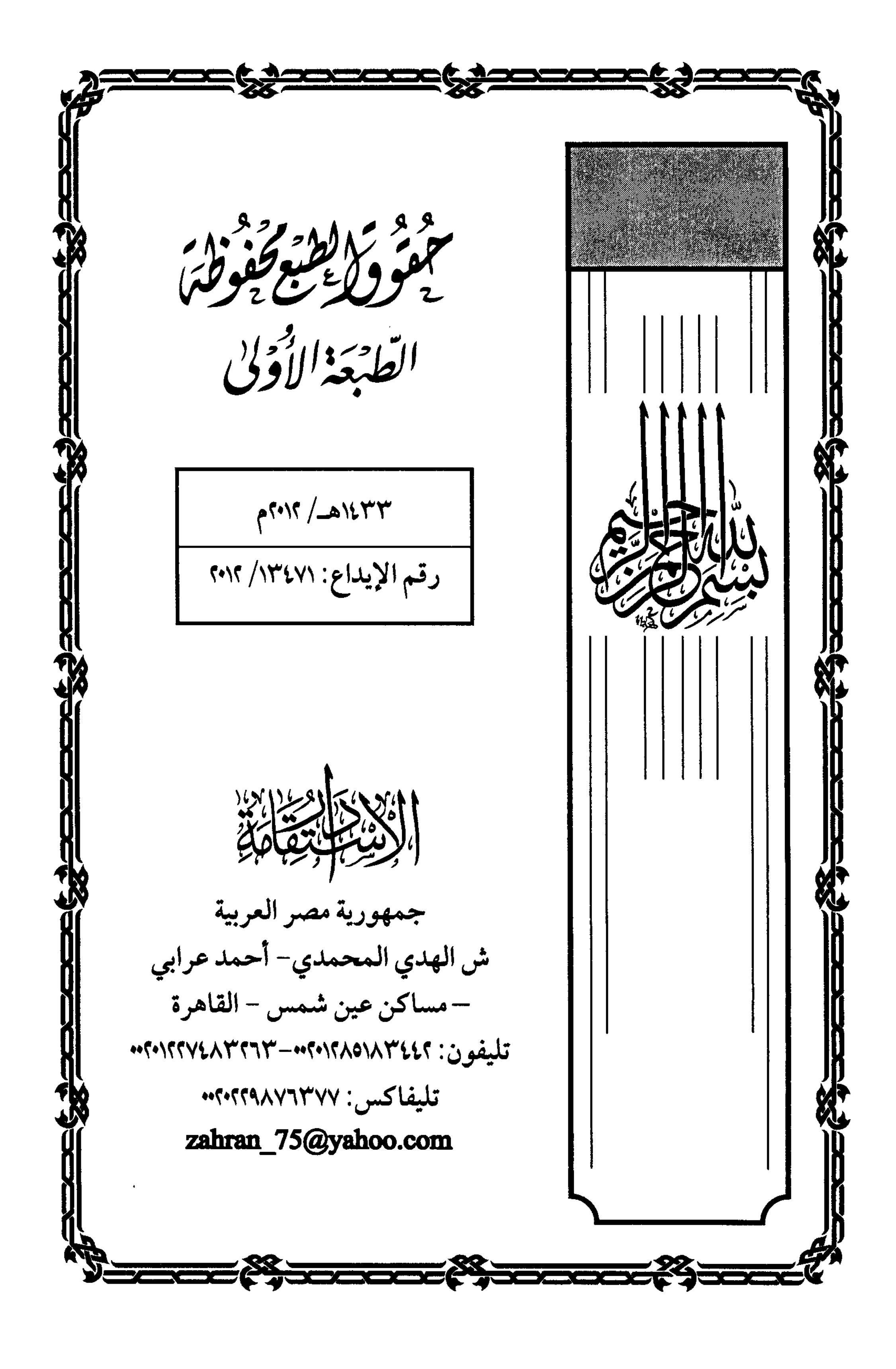


٦ رسائل في

الدعوة إلى الله تعالى



الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ١٣٤٧١/ ٢٠١٢

دار الاستقامة

جمهورية مصر العربية

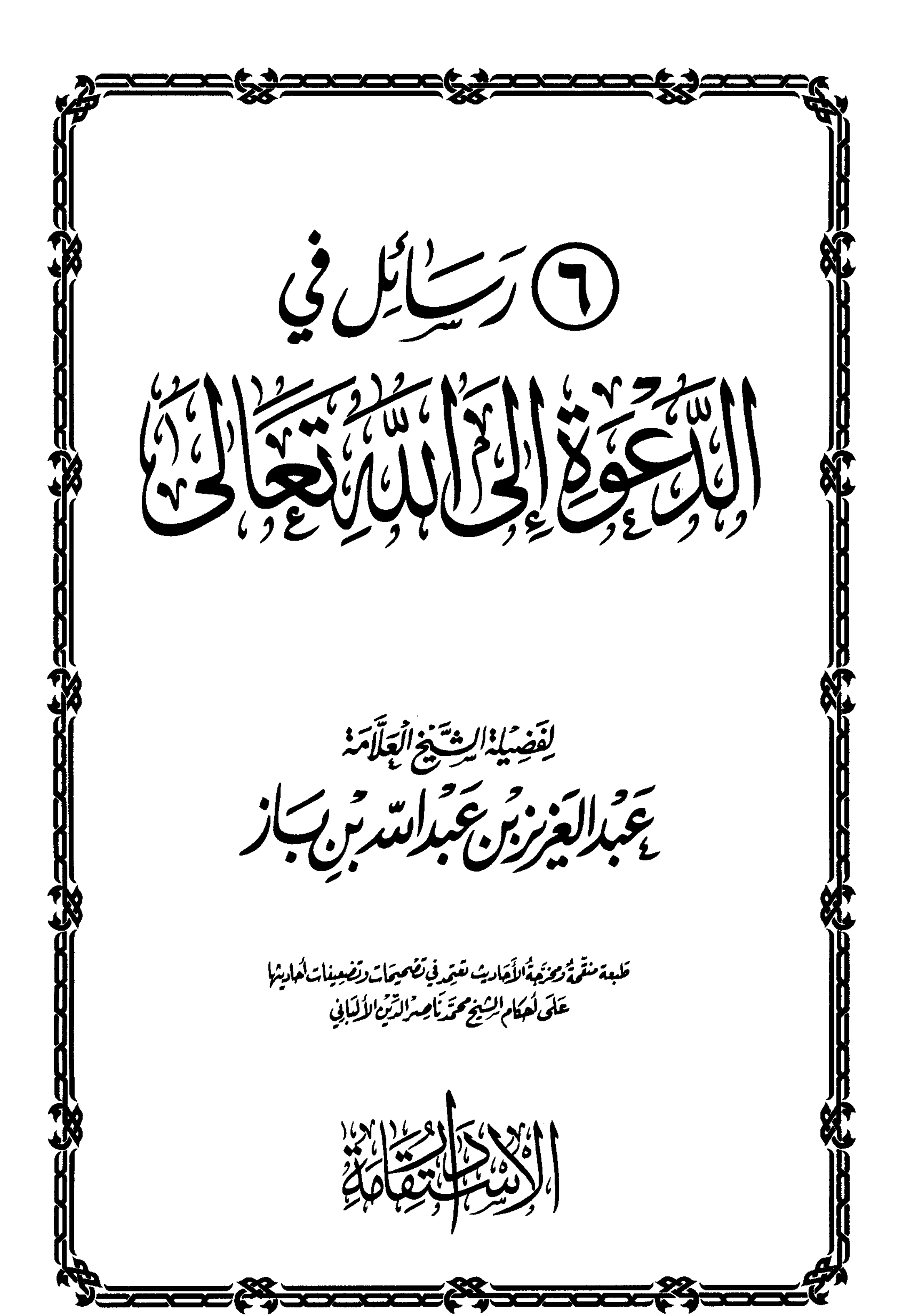
ش الهدي المحمدي- أحمد عرابي

- مساكن عين شمس - القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠١٢٨٥١٨٣٤٤٢- ٠٠٢٠١٢٢٧٤٨٣٢٦٣

تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٩٨٧٦٣٧٧

zahran_75@yahoo.com

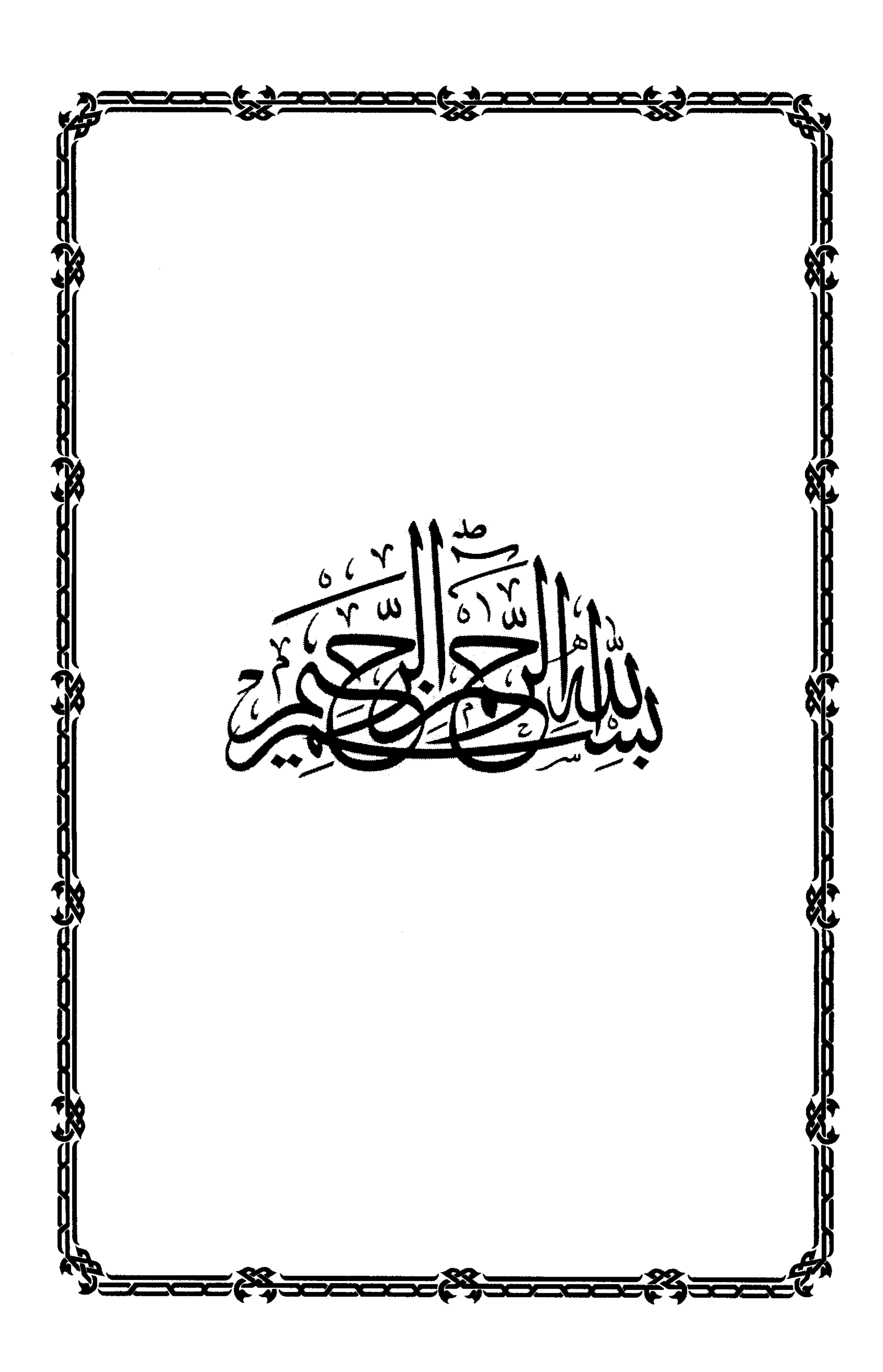


٦ رسائل في الدعوة إلى الله تعالى

لفضيلة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

طبعة منقحة ومخرجة الأحاديث تعتمد في تصحيحات وتضعيفات أحاديثها
على الإمام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

دار الاستقامة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعتني

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

❑ **أما بعد:**

فهذه مجموعة قيمة من الرسائل العلمية والدعوية لفضيلة الشيخ العلامة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جمعناها في هذا الكتاب حيث أنها تتعرض لقضية معينة لطالما تناول العلماء معالجتها؛ ألا وهي قضية (الدعوة ومقوماتها).

❏ **وقد تضمن هذا الكتاب ست رسائل، وهي:**

١- الدعوة إلىٰ الله وأخلاق الدعاة.

٢- الدعوة إلىٰ الله وأسلوبها المشروع.

٣- الدعوة إلىٰ الله وأثرها في المجتمع.

٤- الدعوة إلىٰ الله بالرفق والحكمة والموعظة الحسنة.

٥- مراتب الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

٦- حكمة الداعي وأدب المدعو.

❏ **وكان عملنا في هذا الكتاب كالتالي:**

أولًا: استللنا هذه الرسائل من «مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة» للشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، ورتبناها ترتيبًا موضوعيًّا بحسب أهميتها.

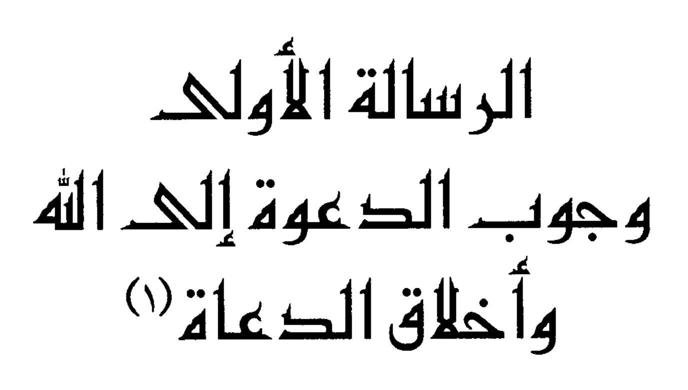
ثانيًا: ضبط نص الكتاب ومقابلته علىٰ كتاب مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة، ط. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

ثالثًا: عزو الآيات القرآنية إلىٰ مواضعها من المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية.

رابعًا: عزو الأحاديث إلىٰ مصادرها من كتب السنة، فالأحاديث التي في «الصحيحين» العزو إليهما يكفي في الدلالة علىٰ صحة الحديث، وما كان في غيرهما قمنا بعزوه إلىٰ مصادره، واستعنا بتحقيقات العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الحكم علىٰ الأحاديث التي وجدنا له أحكامًا عليها.

وختامًا: فهذا جهد المقل، فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من زلل أو خطإٍ فمن عند أنفسنا ومن الشيطان.

فنسأل الله أن يغفر لنا ويتجاوز عن زلاتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ونسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.



(١) نشرت هذه الكلمة في مجلة البحوث الإسلامية، العدد الرابع عام ١٣٩٨ هـ ص٦ - ٢٥. انظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رحمه الله (١/ ٣٢٤-٣٤٨).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السموات والأرضين.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخليله وأمينه علىٰ وحيه، أرسله إلىٰ الناس كافة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين ساروا علىٰ طريقته في الدعوة إلىٰ سبيله، وصبروا علىٰ ذلك وجاهدوا فيه حتىٰ أظهر الله بهم دينه، وأعلىٰ كلمته ولو كره المشركون، وسلم تسليمًا كثيرًا.

❑ أما بعد:

فإن الله ﷻ إنما خلق الجن والإنس ليُعبد وحده لا شريك له، وليعظم أمره ونهيه وليعرف بأسمائه وصفاته، كما قال ﷷ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال ﷷ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١].

وقال ﷷ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

فبين سبحانه أنه خلق الخلق ليُعبد، ويُعظَّم، ويطاع أمره ونهيه؛ لأن العبادة هي توحيده وطاعته مع تعظيم أوامره ونواهيه، وبين عَزَّوَجَلَّ أيضا أنه خلق السموات والأرض وما بينهما ليعلم أنه علىٰ كل شيء قدير، وأنه قد أحاط بكل شيء علمًا.

فعلم بذلك أن من الحكمة في إيجاد الخليقة أن يُعرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأنه علىٰ كل شيء قدير، وأنه العالم بكل شيء جل وعلا، كما أن من الحكمة في خلقهم وإيجادهم أن يعبدوه ويعظموه ويقدسوه ويخضعوا لعظمته، إذ العبادة هي الخضوع لله جل وعلا والتذلل له، وسميت الوظائف التي أمر الله بها المكلفين من أوامر وترك نواه عبادة؛ لأنها تؤدي بالخضوع والتذلل لله عَزَّوَجَلَّ.

ثم لما كانت العبادة لا يمكن أن تستقل بتفاصيلها العقول، كما أنه لا يمكن أن تعرف بها الأحكام من الأوامر والنواهي علىٰ التفصيل، أرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الرسل، وأنزل الكتب لبيان أمر الأمر الذي خلق الله من أجله الخلق، ولإيضاحه وتفصيله للناس حتىٰ يعبدوا الله علىٰ بصيرة، وحتىٰ ينتهوا عما نهاهم عنه علىٰ بصيرة.

فالرسل عليهم الصلاة والسلام هم هداة الخلق، وهم أئمة الهدىٰ ودعاة الثقلين جميعًا إلىٰ طاعة الله وعبادته، فالله سبحانه أكرم العباد بهم ورحمهم بإرسالهم إليهم، وأوضح علىٰ أيديهم الطريق السوي والصراط المستقيم حتىٰ يكون الناس علىٰ بينة من أمرهم، وحتىٰ لا يقولوا: ما ندري ما أراده الله منا، ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقطع الله المعذرة، وأقام الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب، كما قال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [الحديد: ٢٥] الآية.

وقال سبحانه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣] الآية.

فبين سبحانه أنه أرسل الرسل وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس بالحق والقسط، وليوضح للناس ما اختلفوا فيه من الشرائع والعقائد من توحيد الله وشريعته عَزَّوَجَلَّ، فإن قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يعني علىٰ الحق لم يختلفوا من عهد آدم عليه الصلاة والسلام إلىٰ عهد نوح.. كان الناس علىٰ الهدىٰ، كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وجماعة من السلف والخلف، ثم وقع الشرك في قوم نوح، فاختلفوا فيما بينهم، واختلفوا فيما يجب عليهم من حق الله، فلما وقع الشرك والاختلاف أرسل الله نوحًا عليه الصلاة والسلام، وبعده الرسل كما قال عَزَّوَجَلَّ ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال تعالىٰ ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤].

فالله أنزل الكتاب ليبين حكم الله فيما اختلف فيه الناس، وليبين شرعه فيما جهله الناس، وليأمر الناس بالتزام شرع الله والوقوف عند حدوده، وينهي الناس عما يضرهم في العاجل والآجل.

وقد ختم الرسل جل وعلا بأفضلهم وإمامهم وبسيدهم نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله عليه وعليهم من ربهم أفضل الصلاة والتسليم، فبلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، ودعا إلىٰ الله سرًّا وجهرًا، وأوذي في الله أشد الأذىٰ، ولكنه صبر علىٰ ذلك، كما صبر مَن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام، صبر كما صبروا، وبلغ كما بلغوا، ولكنه أوذي أكثر وصبر أكثر، وقام بأعباء الرسالة أكمل قيام عليه وعليهم الصلاة والسلام.

مكث ثلاثًا وعشرين سنة يبلغ رسالات الله ويدعو إليه، وينشر أحكامه، منها ثلاث عشرة سنة في أم القرىٰ مكة المكرمة أولًا بالسر، ثم بالجهر صدع بالحق، وأوذي وصبر علىٰ الدعوة وعلىٰ أذىٰ الناس، مع أنهم يعرفون صدقه وأمانته ويعرفون فضله ونسبه ومكانته، ولكنه الهوىٰ والحسد والعناد من الأكابر، والجهل والتقليد من العامة، فالأكابر جحدوا واستكبروا وحسدوا، والعامة قلدوا واتبعوا وأساءوا، فأوذي بسبب ذلك أشد الأذىٰ عليه الصلاة والسلام.

ويدلنا علىٰ أن الأكابر قد عرفوا الحق وعاندوا قوله سبحانه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣] فبين سبحانه أنهم لا يكذبون رسول الله ﷺ بل يعلمون صدقه وأمانته في الباطن، وكانوا يسمونه الأمين قبل أن يوحىٰ إليه عليه الصلاة والسلام ولكنهم جحدوا الحق حسدًا وبغيًا عليه عليه الصلاة والسلامَ لكنه عليه الصلاة والسلام لم يبال بذلك ولم يكترث به، بل صبر واحتسب وسار في الطريق، ولم يزل داعيًا إلىٰ الله جل وعلا صابرًا علىٰ الأذىٰ، مجاهدًا بالدعوة، كافًّا عن الأذىٰ، متحملًا له، صافحًا عما يصدر منهم حسب الإمكان، حتىٰ اشتد الأمر، وعزموا علىٰ قتله عليه الصلاة والسلام.

فعند ذلك أذن الله له بالخروج إلىٰ المدينة، فهاجر إليها عليه الصلاة والسلام، وصارت عاصمة الإسلام الأولىٰ، وظهر فيها دين الله، وصار للمسلمين بها دولة وقوة.

واستمر عليه الصلاة والسلام في الدعوة وإيضاح الحق، وشرع في الجهاد بالسيف، وأرسل الرسل يدعون الناس إلىٰ الخير والهدىٰ، ويشرحون لهم دعوة نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام وبعث السرايا، وغزا الغزوات المعروفة حتىٰ أظهر الله دينه علىٰ يديه وحتىٰ أكمل به الدين، وأتم عليه وعلىٰ أمته النعمة.

ثم توفي عليه الصلاة والسلام بعدما أكمل الله به الدين، وبلغ البلاغ المبين عليه الصلاة والسلام فتحمل أصحابه من بعده الأمانة، وساروا علىٰ الطريق، فدعوا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وانتشروا في أرجاء المعمورة دعاة للحق ومجاهدين في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ لا يخشون في الله لومة لائم، يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله جل وعلا، فانتشروا في الأرض غزاة مجاهدين ودعاة مهتدين وصالحين مصلحين، ينشرون دين الله، ويعلمون الناس شريعته ويوضحون لهم العقيدة التي بعث الله بها الرسل، وهي إخلاص العبادة لله وحده، وترك عبادة ما سواه من الأشجار والأحجار والأصنام وغير ذلك، فلا يدعىٰ إلا الله وحده، ولا يستغاث إلا به ولا يحكَّم إلا شرعه ولا يصلىٰ إلا له، ولا ينذر إلا له، إلىٰ غير ذلك من العبادات.

وأوضحوا للناس أن العبادة حق لله، وتلوا عليهم ما ورد في ذلك من الآيات، مثل قوله سبحانه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨].

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وصبروا على ذلك صبراً عظيمًا، وجاهدوا في الله جهادًا كبيرًا رضي الله عنهم وأرضاهم.

وتبعهم على ذلك أئمة الهدى من التابعين وأتباع التابعين من العرب وغير العرب، ساروا في هذا السبيل، سبيل الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وتحملوا أعباءها، وأدوا الأمانة، مع الصدق والصبر والإخلاص في الجهاد في سبيل الله وقتال من خرج عن دينه وصد عن سبيله ولم يؤد الجزية التي فرضها الله إذا كان من أهلها، فهم حملة الدعوة وأئمة الهدى بعد رسول الله ﷺ، وهكذا أتباع الصحابة من التابعين وأتباع التابعين وأئمة الهدى ساروا على هذا الطريق كما تقدم وصبروا في ذلك وانتشر دين الله وعلت كلمته على أيدي الصحابة ومن تبعهم من أهل العلم والإيمان من العرب والعجم من هذه الجزيرة جنوبها وشمالها ومن غير الجزيرة ومن سائر أرجاء الدنيا ممن كتب الله له السعادة ودخل في دين الله وشارك في الدعوة والجهاد وصبر على ذلك، وصارت لهم السيادة والقيادة والأمانة في الدين؛ بسبب صبرهم وإيمانهم وجهادهم في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

وصدق فيهم قوله سبحانه فيما ذكر في بني إسرائيل ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة: ٢٤]. صدق هذا في

أصحاب رسول الله ﷺ وفيمن سار علىٰ سبيلهم، صاروا أئمة وهداة ودعاة للحق وأعلامًا يقتدىٰ بهم، بسبب صبرهم وإيقانهم، فإن بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، فأصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام وأتباعه بإحسان إلىٰ يومنا هذا، هم الأئمة وهم الهداة، وهم القادة في سبيل الحق؛ وبذلك يتضح لكل طالب علم أن الدعوة إلىٰ الله من أهم المهمات وأن الأمة في كل زمان ومكان في أشد الحاجة إليها، بل في أشد الضرورة إلىٰ ذلك.

❑ **ويتلخص الكلام في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ في أمور:**

الأمر الأول: حكمها وفضلها.

الأمر الثاني: كيفية أدائها وأساليبها.

الأمر الثالث: بيان الأمر الذي يدعىٰ إليه.

الأمر الرابع: بيان الأخلاق والصفات التي ينبغي للدعاة أن يتخلقوا بها، وأن يسيروا عليها.

فنقول وبالله المستعان وعليه التكلان وهو المعين والموفق لعباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

❑ **الأمر الأول: بيان حكم الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وبيان فضلها:**

أما حكمها: فقد دلت الأدلة من الكتاب السنة علىٰ وجوب الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة.

منها: قوله سبحانه: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ومنها: قوله جل وعلا: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومنها: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [القصص: ٨٧].

ومنها: قوله سبحانه: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فبين سبحانه أن أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلىٰ الله وهم أهل البصائر، والواجب كما هو معلوم هو اتباعه، والسير علىٰ منهاجه عليه الصلاة والسلام كما قال تعالىٰ: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب: ٢١].

وصرح العلماء أن الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فرض كفاية بالنسبة إلىٰ الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإنَّ كل قطر وكل إقليم يحتاج إلىٰ الدعوة وإلىٰ النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة وعملًا صالحًا جليلًا.

وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر المعين بالدعوة علىٰ التمام صار الإثم عامًّا وصار الواجب علىٰ الجميع، وعلىٰ كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه، أما بالنظر إلىٰ عموم البلاد؛ فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلىٰ الله جل وعلا في أرجاء المعمورة تبلغ رسالات الله وتبين أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالطرق الممكنة، فإن الرسول ﷺ قد بعث الدعاة وأرسل الكتب إلىٰ الناس وإلىٰ الملوك

والرؤساء ودعاهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي وقتنا اليوم قد يسر الله عَزَّوَجَلَّ أمر الدعوة أكثر بطرق لم تحصل لمن قبلنا، فأمور الدعوة اليوم متيسرة أكثر، من طرق كثيرة، وإقامة الحجة علىٰ الناس اليوم ممكنة بطرق متنوعة، عن طريق الإذاعة، وعن طريق التلفزة، وعن طريق الصحافة، ومن طرق شتىٰ.

فالواجب علىٰ أهل العلم والإيمان وعلىٰ خلفاء الرسول أن يقوموا بهذا الواجب وأن يتكاتفوا فيه وأن يبلغوا رسالات الله إلىٰ عباد الله ولا يخشوا في الله لومة لائم ولا يحابوا في ذلك كبيرًا ولا صغيرًا ولا غنيًّا ولا فقيرًا، بل يبلغون أمر الله إلىٰ عباد الله كما أنزل الله وكما شرع الله، وقد يكون ذلك فرض عين إذا كنت في مكان ليس فيه من يؤدي ذلك سواك، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه يكون فرض عين، ويكون فرض كفاية.

فإذا كنت في مكان ليس فيه من يقوىٰ علىٰ هذا الأمر ويبلغ أمر الله سواك، فالواجب عليك أنت أن تقوم بذلك، فأما إذا وجد من يقوم بالدعوة والتبليغ والأمر والنهي غيرك فإنه يكون حينئذ في حقك سنة، وإذا بادرت إليه وحرصت عليه كنت بذلك منافسًا في الخيرات ومسابقًا إلىٰ الطاعات.

ومما احتج به علىٰ أنها فرض كفاية قوله جل وعلا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] الآية.

قال الحافظ ابن كثير عند هذه الآية وجماعة؛ ما معناه:

ولتكن منكم أمة منتصبة لهذا الأمر العظيم تدعو إلىٰ الله وتنشر دينه وتبلغ أمره سُبْحَانَهُ.

ومعلوم أيضًا أن الرسول عليه الصلاة والسلام دعا إلىٰ الله وقام بأمر الله في مكة حسب طاقته، وقام الصحابة كذلك رضي الله عنهم وأرضاهم بذلك حسب طاقتهم، ثم لما هاجروا قاموا بالدعوة أكثر وأبلغ، ولما انتشروا في البلاد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام قاموا بذلك أيضًا رضي الله عنهم وأرضاهم كلٌّ علىٰ قدر طاقته وعلىٰ قدر علمه، فعند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل، كحالنا اليوم تكون الدعوة فرض عين علىٰ كل واحد بحسب طاقته، وإذا كان في محل محدود كقرية ومدينة ونحو ذلك، ووجد فيها من تولىٰ هذا الأمر، وقام به وبلغ أمر الله كفىٰ وصار التبليغ في حق غيره سنة؛ لأنه قد أقيمت الحجة علىٰ يد غيره، ونفذ أمر الله علىٰ يد سواه.

ولكن بالنسبة إلىٰ بقية أرض الله، وإلىٰ بقية الناس يجب علىٰ العلماء حسب طاقتهم، وعلىٰ ولاة الأمر حسب طاقتهم أن يبلغوا أمر الله بكل ما يستطيعون، وهذا فرض عين عليهم علىٰ حسب الطاقة والقدرة.

وبهذا يعلم من كونها فرض عين، وكونها فرض كفاية أمر نسبي يختلف، فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلىٰ أقوام وإلىٰ أشخاص، وسنة بالنسبة إلىٰ أشخاص وإلىٰ أقوام؛ لأنه وجد في محلهم وفي مكانهم مَن قام بالأمر وكفىٰ عنهم.

أما بالنسبة إلىٰ ولاة الأمور ومن لهم القدرة الواسعة، فعليهم من الواجب أكثر، وعليهم أن يبلغوا الدعوة ما استطاعوا من الأقطار حسب الإمكان بالطرق الممكنة وباللغات الحية التي ينطق بها الناس، يجب أن يبلغوا أمر الله بتلك اللغات حتىٰ يصل دين الله إلىٰ كل أحد باللغة التي يعرفها، باللغة العربية وبغيرها، فإن الأمر الآن ممكن وميسور بالطرق التي تقدم بيانها، طرق الإذاعة والتلفزة والصحافة، وغير

ذلك من الطرق التي تيسرت اليوم ولم تتيسر في السابق.

كما أنه يجب على الخطباء في الاحتفالات وفي الجُمَع وفي غير ذلك أن يبلغوا ما استطاعوا من أمر الله عَزَّوَجَلَّ، وأن ينشروا دين الله حسب طاقتهم وحسب علمهم.

ونظرًا إلى انتشار الدعوة إلى المبادئ الهدامة وإلى الإلحاد وإنكار رب العباد وإنكار الرسالات وإنكار الآخرة، وانتشار الدعوة النصرانية في كثير من البلدان وغير ذلك من الدعوات المضللة، نظرًا إلى هذا، فإن الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ اليوم أصبحت فرضًا عامًّا وواجبًا على جميع العلماء وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام، فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة، والإمكان بالكتابة والخطابة، والإذاعة وبكل وسيلة استطاعوا، وألا يتقاعسوا عن ذلك أو يتكلوا على زيد أو عمرو.

فإن الحاجة بل الضرورة ماسة اليوم إلى التعاون والاشتراك والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل ذلك؛ لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله والتشكيك في دينه ودعوة الناس إلى ما يخرجهم من دين الله عَزَّوَجَلَّ، فوجب على أهل الإسلام أن يقابلوا هذا النشاط الملحد بنشاط إسلامي وبدعوة إسلامية على شتى المستويات وبجميع الوسائل وبجميع الطرق الممكنة، وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدعوة إلى سبيله.

فضل الدعوة:

وقد ورد في فضل الدعوة والدعاة آيات وأحاديث كثيرة، كما أنه ورد في إرسال النبي ﷺ الدعاة أحاديث لا تخفى على أهل العلم.

ومن ذلك: قوله جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا

﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فُصِّلَت: ٣٣] فهذه الآية الكريمة فيها التنويه بالدعاة والثناء عليهم وأنه لا أحد أحسن قولًا منهم وعلىٰ رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم أتباعهم علىٰ حسب مراتبهم في الدعوة والعلم والفضل.

فأنت يا عبد الله يكفيك شرفًا أن تكون من أتباع الرسل ومن المنتظمين في هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فُصِّلَت: ٣٣]. **المعنىٰ**: لا أحد أحسن قولًا منه لكونه دعا إلىٰ الله وأرشد إليه وعمل بما يدعو إليه، يعني: دعا إلىٰ الحق وعمل به، وأنكر الباطل وحذر منه وتركه، ومع ذلك صرح بما هو عليه لم يخجل، بل قال: إنني من المسلمين، مغتبطًا وفرحًا بما من الله به عليه وليس كمن يستنكف عن ذلك أو يكره أن ينطق بأنه مسلم أو بأنه يدعو إلىٰ الإسلام لمراعاة فلان أو مجاملة فلان ولا حول ولا قوة إلا بالله، بل المؤمن الداعي إلىٰ الله؛ القوي الإيمان، البصير بأمر الله يصرح بحق الله، وينشط في الدعوة إلىٰ الله، ويعمل بما يدعو إليه، ويحذر ما ينهىٰ عنه، فيكون من أسرع الناس إلىٰ ما يدعو إليه، ومن أبعد الناس عن كل ما ينهىٰ عنه، ومع ذلك يصرح بأنه مسلم وبأنه يدعو إلىٰ الإسلام، ويغتبط بذلك ويفرح به، كما قال عَزَّ وَجَلَّ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

فالفرح برحمة الله فرح الاغتباط فرح السرور أمر مشروع، أما الفرح المنهي عنه فهو فرح الكبر، والفرح هذا هو المنهي عنه، كما قال عَزَّ وَجَلَّ في قصة قارون ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦﴾ [القصص: ٧٦] هذا فرح الكبر والتعالي علىٰ الناس والتعاظم، وهذا هو الذي ينهىٰ عنه، أما فرح الاغتباط والسرور بدين الله والفرح بهداية الله والاستبشار بذلك والتصريح بذلك ليعلم، فأمر مشروع وممدوح ومحمود.

فهذه الآية الكريمة من أوضح الآيات في الدلالة على فضل الدعوة وأنها من أهم القربات ومن أفضل الطاعات، وأن أهلها في غاية الشرف وفي أرفع مكانة، وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام وأكملهم في ذلك خاتمهم وإمامهم وسيدهم نبينا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

ومن ذلك: قوله جل وعلا: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

فبين سبحانه أن الرسول ﷺ يدعو على بصيرة وأن أتباعه كذلك، فهذا فضل الدعوة، وأن أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلى سبيله على بصيرة، والبصيرة هي العلم بما يدعو إليه وما ينهى عنه، وفي هذا شرف لهم وتفضيل.

وقال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»(١) رواه مسلم في «الصحيح».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»(٢) أخرجه مسلم أيضًا، وهذا يدل على فضل الدعوة إلى الله عز وجل.

وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لعلي رضي الله عنه وأرضاه: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»(٣) متفق على صحته.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٦٩٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٦٣٧٦).

وهذا أيضًا يدلنا علىٰ فضل الدعوة إلىٰ الله وما فيها من الخير العظيم، وأن الداعي إلىٰ الله جل وعلا يعطي مثل أجور من هداه الله علىٰ يديه، ولو كانوا آلاف الملايين، تعطىٰ أيها الداعية مثل أجورهم، فهنيئًا لك أيها الداعية إلىٰ الله بهذا الخير العظيم، وبهذا يتضح أيضًا أن الرسول عليه الصلاة والسلام يعطىٰ مثل أجور أتباعه، فيا لها من نعمة عظيمة يعطىٰ نبينا عليه الصلاة والسلام مثل أجور أتباعه إلىٰ يوم القيامة، لأنه بلغهم رسالة الله ودلهم علىٰ الخير عليه الصلاة والسلام، وهكذا الرسل يعطون مثل أجور أتباعهم عليهم الصلاة والسلام وأنت كذلك أيها الداعية في كل زمان تعطىٰ مثل أجور أتباعك والقابلين لدعوتك، فاغتنم هذا الخير العظيم وسارع إليه.

❑ الأمر الثاني: كيفية أدائها وأساليبها:

أما كيفية الدعوة وأسلوبها فقد بينها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم، وفيما جاء في سنة نبيه عليه الصلاة والسلام ومن أوضح ذلك قوله جل وعلا: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] فأوضح سبحانه الكيفية التي ينبغي أن يتصف بها الداعية ويسلكها يبدأ أولًا بالحكمة، والمراد بها الأدلة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق والداحضة للباطل.

ولهذا قال بعض المفسرين: المعنىٰ بالقرآن؛ لأنه الحكمة العظيمة؛ لأن فيه البيان والإيضاح للحق بأكمل وجه.

وقال بعضهم: معناه بالأدلة من الكتاب والسنة، وبكل حال فالحكمة كلمة عظيمة معناها الدعوة إلىٰ الله بالعلم والبصيرة والأدلة الواضحة المقنعة الكاشفة للحق والمبينة له، وهي كلمة مشتركة تطلق علىٰ معان كثيرة، تطلق علىٰ النبوة،

وعلىٰ العلم والفقه في الدين، وعلىٰ العقل، وعلىٰ الورع وعلىٰ أشياء أخرىٰ وهي في الأصل، كما قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: الأمر الذي يمنع عن السفه، هذه هي الحكمة، والمعنىٰ: أن كل كلمة، وكل مقالة تردعك عن السفه، وتزجرك في الباطل فهي حكمة، وهكذا كل مقال واضح صريح صحيح في نفسه فهو حكمة، فالآيات القرآنية أولىٰ بأن تسمىٰ حكمة، وهكذا السنة الصحيحة أولىٰ بأن تسمىٰ حكمة بعد كتاب الله، وقد سماها الله حكمة في كتابه العظيم كما في قوله جل وعلا: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٥١] يعني: السنة.

وكما في قوله سبحانه ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] الآية.

فالأدلة الواضحة تسمىٰ حكمة، والكلام الواضح المصيب للحق يسمىٰ حكمة كما تقدم، ومن ذلك الحكمة التي تكون في فم الفرس وهي بفتح الحاء والكاف سميت بذلك؛ لأنها تمنع الفرس من المضي في السير إذا جذبها صاحبها بهذه الحكمة.

فالحكمة كلمة تمنع مَن سمعها من المُضِي في الباطل وتدعوه إلىٰ الأخذ بالحق والتأثر به والوقوف عند الحد الذي حده الله عَزَّوَجَلَّ، فعلىٰ الداعية إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أن يدعو بالحكمة، ويبدأ بها ويعنىٰ بها.

فإذا كان المدعو عنده بعض الجفاء والاعتراض فدعوته بالموعظة الحسنة بالآيات والأحاديث التي فيها الوعظ والترغيب، فإن كان عنده شبهة جادلته بالتي هي أحسن، ولا تغلظ عليه، بل تصبر عليه ولا تعجل ولا تعنف، بل تجتهد في كشف

الشبهة وإيضاح الأدلة بالأسلوب الحسن.

هكذا ينبغي لك أيها الداعية أن تتحمل وتصبر ولا تشدد؛ لأن هذا أقرب إلىٰ الانتفاع بالحق وقبوله وتأثر المدعو، وصبره علىٰ المجادلة والمناقشة.

وقد أمر الله جل وعلا موسىٰ وهارون لما بعثهما إلىٰ فرعون أن يقولا له قولا لينا وهو أطغىٰ الطغاة، قال الله جل وعلا في أمره لموسىٰ وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤].

وقال الله سبحانه في نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية.

فعلم بذلك أن الأسلوب الحكيم والطريق المستقيم في الدعوة أن يكون الداعي حكيمًا في الدعوة بصيرًا بأسلوبها لا يعجل، ولا يعنف، بل يدعو بالحكمة وهي المقال الواضح المصيب للحق من الآيات والأحاديث، وبالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

هذا هو الأسلوب الذي ينبغي لك في الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

أما الدعوة بالجهل فهذا يضر ولا ينفع، كما يأتي بيان ذلك إن شاء الله عند ذكر أخلاق الدعاة؛ لأن الدعوة مع الجهل بالأدلة قول علىٰ الله بغير علم، وهكذا الدعوة بالعنف والشدة ضررها أكثر، وإنما الواجب والمشروع هو الأخذ بما بينه عَزَّوَجَلَّ في آية النحل؛ وهي قوله سبحانه ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] الآية، إلا إذا ظهر من المدعو العناد والظلم فلا مانع من الإغلاظ عليه كما قال الله سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ٧٣] الآية.

وقال تعالىٰ ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

الأمر الثالث: بيان الأمر الذي يدعى إليه:

أما الشيء الذي يدعىٰ إليه، ويجب علىٰ الدعاة أن يوضحوه للناس، كما أوضحه الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو الدعوة إلىٰ صراط الله المستقيم، وهو الإسلام وهو دين الله الحق، هذا هو محل الدعوة كما قال سبحانه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ١٢٥] فسبيل الله جل وعلا هو الإسلام والصراط المستقيم وهو دين الله الذي بعث به نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام هذا هو الذي تجب الدعوة إليه، لا إلىٰ مذهب فلان ولا إلىٰ رأي فلان، ولكن إلىٰ دين الله، إلىٰ الصراط المستقيم الذي بعث الله به نبيه وخليله محمدًا عليه الصلاة والسلام، وهو ما دل عليه القرآن العظيم والسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وعلىٰ رأس ذلك: الدعوة إلىٰ العقيدة الصحيحة إلىٰ الإخلاص لله وتوحيده بالعبادة، والإيمان به وبرسله، والإيمان باليوم الآخر، وبكل ما أخبر الله به ورسوله، هذا هو أساس الصراط المستقيم، وهو الدعوة إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ومعنىٰ ذلك: الدعوة إلىٰ توحيد الله والإخلاص له، والإيمان به وبرسله عليهم الصلاة والسلام، ويدخل في ذلك الدعوة إلىٰ الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسله، مما كان وما يكون من أمر الآخرة وأمر آخر الزمان وغير ذلك، ويدخل في ذلك أيضًا الدعوة إلىٰ ما أوجَب الله من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان

وحج البيت إلىٰ غير ذلك.

ويدخل أيضًا في ذلك الدعوة إلىٰ الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ بما شرع الله في الطهارة والصلاة والمعاملات والنكاح والطلاق والجنايات، والنفقات والحرب والسلم وفي كل شيء؛ لأن دين الله عَزَّوَجَلَّ دين شامل يشمل مصالح العباد في المعاش والمعاد، ويشمل كل ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم ودنياهم، ويدعو إلىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وينهىٰ عن سفاسف الأخلاق وعن سيئ الأعمال، فهو عبادة وقيادة، يكون عابدًا ويكون قائدًا للجيش، عبادة وحكم، يكون عابدًا مصليًا صائمًا، ويكون حاكمًا بشرع الله منفذًا لأحكامه عَزَّوَجَلَّ، عبادة وجهادًا، يدعو إلىٰ الله ويجاهد في سبيل الله من خرج عن دين الله، مصحف وسيف.

يتأمل القرآن ويتدبره وينفذ أحكامه بالقوة ولو بالسيف إذا دعت الحاجة إليه، سياسة واجتماع، فهو يدعو إلىٰ الأخلاق الفاضلة والأخوة الإيمانية، والجمع بين المسلمين والتأليف بينهم، كما قال جل وعلا: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] فدين الله يدعو إلىٰ الاجتماع وإلىٰ السياسة الصالحة الحكيمة التي تجمع ولا تفرق، تؤلف ولا تباعد، تدعو إلىٰ صفاء القلوب واحترام الأخوة الإسلامية والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ والنصح لله ولعباده، وهو أيضًا يدعو إلىٰ أداء الأمانة والحكم بالشريعة، وترك الحكم بغير ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨].

وهو أيضًا سياسة واقتصاد، كما أنه سياسة وعبادة وجهاد، فهو يدعو إلىٰ

الاقتصاد الشرعي المتوسط، ليس رأسماليًّا غاشمًا ظالمًا لا يبالي بالمحرمات، ويجمع المال بكل وسيلة وبكل طريق، وليس اقتصادًا شيوعيًّا إلحاديًّا لا يحترم أموال الناس، ولا يبالي بالضغط عليهم وظلمهم والعدوان عليهم، فليس هذا ولا هذا، بل هو وسط بين الاقتصادين ووسط بين الطريقين وحق بين الباطلين، فالغرب عظموا المال وغلوا في حبه وفي جمعه حتىٰ جمعوه بكل وسيلة، وسلكوا فيه ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ، والشرق من الملحدين من السوفييت ومن سلك سبيلهم لم يحترموا أموال العباد، بل أخذوها واستحلوها ولم يبالوا بما فعلوا في ذلك، بل استعبدوا العباد، واضطهدوا الشعوب وكفروا بالله وأنكروا الأديان؛ وقالوا لا إله والحياة مادة، فلم يبالوا بهذا المال، ولم يكترثوا بأخذه بغير حله، ولم يكترثوا بوسائل الإبادة والاستعباد علىٰ الأموال والحيلولة بين الناس وبين ما فطرهم الله عليه من الكسب والانتفاع، والاستفادة من قدراتهم ومن عقولهم وما أعطاهم الله من الأدوات، فلا هذا ولا هذا.

فالإسلام جاء ليحفظ المال واكتسابه بالطرق الشرعية البعيدة عن الظلم والغشم والربا وظلم الناس والتعدي عليهم، كما جاء باحترام الملك الفردي والجماعي، فهو وسط بين النظامين وبين الاقتصادين وبين الطريقين الغاشمين، فأباح المال ودعا إليه ودعا إلىٰ اكتسابه بالطرق الحكيمة من غير أن يشغل كاسبه عن طاعة الله ورسوله وعن أداء ما أوجب الله عليه؛ ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [النساء: ٢٩].

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وماله**

وعرضه»(١).

وقال: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من حطب علىٰ ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من سؤال الناس أعطوه أو منعوه**»(٣).

وسئل ﷺ: أي الكسب أطيب؟ فقال: «**عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور**»(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما أكل أحد طعامًا أفضل من أن يأكل من عمل يده، وكان نبي الله داود يأكل من عمل يده**»(٥).

فهذا يبين لنا أن نظام الإسلام في المال نظام متوسط، لا مع رأس المال الغاشم من الغرب وأتباعه، ولا مع الشيوعيين الملحدين الذين استباحوا الأموال وأهدروا حرمات أهلها، لم يبالوا بهم واستعبدوا الشعوب وقضوا عليها، واستحلوا ما حرم الله منها.

فلك أن تكسب المال وتطلبه بالطرق الشرعية وأنت أولىٰ بمالك وبكسبك بالطريقة التي شرعها الله وأباحها جل وعلا.

والإسلام أيضًا يدعو إلىٰ الأخوة الإيمانية وإلىٰ النصح لله ولعباده وإلىٰ احترام

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (٤٤٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٧١).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٣٣).

(٥) أخرجه البخاري (٢٠٧٢).

المسلم لأخيه، لا غل ولا حسد ولا غش ولا خيانة ولا غير ذلك من الأخلاق الذميمة، كما قال جل وعلا: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحُجُرات: ١٠].

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله...**»(١) الحديث.

فالمسلم أخو المسلم يجب عليه احترامه وعدم احتقاره ويجب عليه إنصافه وإعطائه حقه من كل الوجوه التي شرعها الله عَزَّوَجَلَّ، قال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»(٢).

وقال ﷺ: «**المؤمن مرآة أخيه المؤمن**»(٣).

فأنت يا أخي مرآة أخيك وأنت لبنة من البناء الذي قام عليه بنيان الأخوة الإيمانية، فاتق الله في حق أخيك واعرف حقه وعامله بالحق والنصح والصدق، وعليك أن تأخذ الإسلام كله ولا تأخذ جانبًا دون جانب، لا تأخذ العقيدة وتدع الأحكام والأعمال، ولا تأخذ الأعمال والأحكام وتدع العقيدة، بل خذ الإسلام كله، خذه عقيدة وعملًا وعبادة وجهادًا واجتماعًا وسياسة واقتصادًا وغير ذلك.

خذه من كل الوجوه كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٦).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٨)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (١٧٧).

[البقرة: ٢٠٨] قال جماعة من السلف معنىٰ ذلك: ادخلوا في السلم جميعه يعني في الإسلام، يقال للإسلام: سلم؛ لأنه طريق السلامة وطريق النجاة في الدنيا والآخرة فهو سلم وإسلام، فالإسلام يدعو إلىٰ السلم، يدعو إلىٰ حقن الدماء بما شرع من الحدود والقصاص والجهاد الشرعي الصادق فهو سلم وإسلام وأمن وإيمان؛ ولهذا قال جل وعلا ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، أي: ادخلوا في جميع شعب الإيمان، لا تأخذوا بعضًا وتَدَعوا بعضًا، عليكم أن تأخذوا بالإسلام كله، ولا تتبعوا خطوات الشيطان يعني: المعاصي التي حرمها الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الشيطان يدعو إلىٰ المعاصي وإلىٰ ترك دين الله كله، فهو أعدىٰ عدو.

ولهذا يجب علىٰ المسلم أن يتمسك بالإسلام كله وأن يدين بالإسلام كله، وأن يعتصم بحبل الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يحذر أسباب الفرقة والاختلاف في جميع الأحوال.

فعليك أن تحكم شرع الله في العبادات وفي المعاملات وفي النكاح وفي الطلاق وفي النفقات وفي الرضاع وفي السلم والحرب ومع العدو والصديق وفي الجنايات وفي كل شيء، دين الله يجب أن يحكم في كل شيء، وإياك أن توالي أخاك؛ لأنه وافقك في كذا وتعادي الآخر؛ لأنه خالفك في رأي أو في مسألة، فليس هذا من الإنصاف فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اختلفوا في مسائل، ومع ذلك لم يؤثر ذلك في الصفاء بينهم والموالاة والمحبة رضي الله عنهم وأرضاهم، فالمؤمن يعمل بشرع الله ويدين بالحق ويقدمه علىٰ كل أحد بالدليل، ولكن لا يحمله ذلك علىٰ ظلم أخيه وعدم إنصافه إذا خالفه في الرأي في مسائل الاجتهاد التي قد يخفىٰ دليلها، وهكذا في المسائل التي قد يختلف في تأويل النص فيها فإنه قد يعذر.

فعليك أن تنصح له وأن تحب له الخير ولا يحملك ذلك علىٰ العداء

والانشقاق، وتمكين العدو منك ومن أخيك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الإسلام دين العدالة ودين الحكم بالحق والإحسان، دين المساواة إلا فيما استثنىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ففيه الدعوة إلىٰ كل خير، وفيه الدعوة إلىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال والإنصاف والعدالة والبعد عن كل خلق ذميم، قال تعالىٰ ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل: ٩٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣].

والخلاصة: أن الواجب علىٰ الداعية الإسلامي أن يدعو إلىٰ الإسلام كله ولا يفرق بين الناس، وألا يكون متعصبًا لمذهب دون مذهب أو لقبيلة دون قبيلة أو لشيخه أو رئيسه أو غير ذلك، بل الواجب أن يكون هدفه إثبات الحق وإيضاحه، واستقامة الناس عليه، وإن خالف رأي فلان أو فلان أو فلان، ولما نشأ في الناس من يتعصب للمذاهب ويقول: إن مذهب فلان أولىٰ من مذهب فلان، جاءت الفرقة والاختلاف حتىٰ آل ببعض الناس هذا الأمر إلىٰ ألا يصلي مع مَن هو علىٰ غير مذهبه، فلا يصلي الشافعي خلف الحنفي ولا الحنفي خلف المالكي ولا خلف الحنبلي، هكذا وقع من بعض المتطرفين المتعصبين.

وهذا من البلاء ومن اتباع خطوات الشيطان، فالأئمة أئمة هدىٰ، الشافعي، ومالك، وأحمد، وأبو حنيفة، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وأشباههم كلهم أئمة هدىٰ ودعاة حق، دعوا الناس إلىٰ دين الله وأرشدوهم إلىٰ الحق، ووقع هناك مسائل بينهم اختلفوا فيها؛ لخفاء الدليل علىٰ بعضهم، فهم بين مجتهد مصيب له أجران،

وبين مجتهد أخطأ الحق فله أجر واحد، فعليك أن تعرف لهم قدرهم وفضلهم وأن تترحم عليهم وأن تعرف أنهم أئمة الإسلام ودعاة الهدىٰ، ولكن لا يحملك ذلك علىٰ التعصب والتقليد الأعمىٰ، فتقول: مذهب فلان أولىٰ بالحق بكل حال، أو مذهب فلان أولىٰ بالحق لكل حال لا يخطئ «لا» هذا غلط.

عليك أن تأخذ بالحق وأن تتبع الحق إذا ظهر دليله ولو خالف فلانًا ، وعليك ألا تتعصب وتقلد تقليدًا أعمىٰ، بل تعرف للأئمة فضلهم وقدرهم، ولكن مع ذلك تحتاط لنفسك ودينك فتأخذ بالحق وترضىٰ به وترشد إليه إذا طلب منك، وتخاف الله وتراقبه جل وعلا وتنصف من نفسك، مع إيمانك بأن الحق واحد وأن المجتهدين إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد أعني مجتهدي أهل السنة، أهل العلم والإيمان والهدىٰ، كما صح بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ.

أما المقصود من الدعوة والهدف منها:

فالمقصود والهدف: إخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور وإرشادهم إلىٰ الحق حتىٰ يأخذوا به وينجوا من النار وينجوا من غضب الله، وإخراج الكافر من ظلمة الكفر إلىٰ النور والهدىٰ، وإخراج الجاهل من ظلمة الجهل إلىٰ نور العلم، والعاصي من ظلمة المعصية إلىٰ نور الطاعة، هذا هو المقصود من الدعوة كما قال جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فالرسل بُعثوا ليخرجوا الناس من الظلمات إلىٰ النور، ودعاة الحق كذلك يقومون بالدعوة وينشطون لها؛ لإخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور، ولإنقاذهم من النار ومن طاعة الشيطان ولإنقاذهم من طاعة الهوىٰ إلىٰ طاعة الله ورسوله.

❑ الأمر الرابع: بيان الأخلاق والصفات التي ينبغي للدعاة أن يتخلقوا بها وأن يسيروا عليها:

أما أخلاق الدعاة وصفاتهم التي ينبغي أن يكونوا عليها، فقد أوضحها الله جل وعلا في آيات كثيرة، في أماكن متعددة من كتابه الكريم:

أولًا: منها: الإخلاص: فيجب علىٰ الداعية أن يكون مخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ لا يريد رياء ولا سمعة ولا ثناء الناس ولا حمدهم، إنما يدعو إلىٰ الله يريد وجهه عَزَّوَجَلَّ، كما قال سبحانه ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فُصِّلَت: ٣٣].

فعليك أن تخلص لله عَزَّوَجَلَّ، هذا أهم الأخلاق، هذا أعظم الصفات أن تكون في دعوتك تريد وجه الله والدار الآخرة.

ثانيًا: أن تكون علىٰ بينة في دعوتك؛ أي: علىٰ علم، لا تكن جاهلًا بما تدعو إليه ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فلا بد من العلم، فالعلم فريضة، فإياك أن تدعو علىٰ جهالة، وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم، فالجاهل يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح، فاتق الله يا عبد الله، إياك أن تقول علىٰ الله بغير علم، ولا تدعو إلىٰ شيء إلا بعد العلم به، والبصيرة بما قاله الله ورسوله، فلا بد من بصيرة وهي العلم، فعلىٰ طالب العلم وعلىٰ الداعية أن يتبصر فيما يدعو إليه، وأن ينظر فيما يدعو إليه، ودليله، فإن ظهر له الحق وعرفه ودعا إلىٰ ذلك، سواء كان ذلك فعلًا أو تركًا فيدعو إلىٰ الفعل إذا كان طاعة لله ورسوله، ويدعو إلىٰ ترك ما نهىٰ الله عنه ورسوله علىٰ بينة وبصيرة.

ثالثًا: من الأخلاق التي ينبغي لك أن تكون عليها أيها الداعية، أن تكون حليمًا في دعوتك رفيقًا فيها متحملًا صبورًا، كما فعل الرسل عليهم الصلاة والسلام، إياك والعجلة، إياك والعنف والشدة، عليك بالصبر، عليك بالحلم عليك بالرفق في دعوتك، وقد سبق لك بعض الدليل علىٰ ذلك، كقوله جل وعلا: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله سبحانه ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية.

وقوله جل وعلا في قصة موسىٰ وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤].

وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه**» خرجه مسلم(١).

فعليك يا عبد الله أن ترفق في دعوتك ولا تشق علىٰ الناس ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليمًا صبورًا سلس القياد لين الكلام، طيب الكلام حتىٰ تؤثر في قلب أخيك وحتىٰ تؤثر في قلب المدعو، وحتىٰ يأنس لدعوتك ويلين لها، ويتأثر بها، ويثني عليك بها ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب ومفرق لا جامع.

ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي، بل يجب أن يكون عليها الداعية: العمل بدعوته وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس ممن يدعو إلىٰ شيء ثم يتركه، أو ينهىٰ عنه ثم يرتكبه، هذه حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك، أما المؤمنون

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢٦).

الرابحون، فهم دعاة الحق يعملون به، وينشطون فيه، ويسارعون إليه، ويبتعدون عما ينهون عنه، قال الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف:٢، ٣] وقال سبحانه موبخا اليهود على أمرهم الناس بالبر ونسيان أنفسهم: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البقرة: ٤٤].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع عليه أهل النار فيقولون له: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: بلى، كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»(١).

هذه حال من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم خالف قوله، فعله وفعله قوله نعوذ بالله من ذلك، فمن أهم أخلاق وأعظمها في حق الداعية: أن يعمل بما يدعو إليه، وأن ينتهي عما ينهي عنه، وأن يكون ذا خلق فاضل وسيرة حميدة، وصبر ومصابرة، وإخلاص في دعوته، واجتهاد فيما يوصل الخير إلى الناس وفيما يبعدهم من الباطل، ومع ذلك يدعو لهم بالهداية، هذا من الأخلاق الفاضلة أن يدعو لهم بالهداية ويقول للمدعو: هداك الله، وفقك الله لقبول الحق، أعانك الله على قبول الحق، تدعوه وترشده وتصبر على الأذى.

ومع ذلك تدعو له بالهداية، قال النبي عليه الصلاة والسلام لما قيل عن دوس أنهم عصوا، قال: «**اللهم اهد دوسًا وائت بهم**»(٢) تدعو له بالهداية والتوفيق بقبول

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٧٦٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٦٦١١).

الحق وتصبر وتصابر في ذلك، ولا تقنط ولا تيأس ولا تقل إلا خيرًا، ولا تعنف ولا تقل كلامًا سيئًا ينفر من الحق، ولكن من ظلم وتعدىٰ له شأن آخر، كما قال الله جل وعلا: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فالظلم الذي يقابل الدعوة بالشر والعناد والأذىٰ له حكم آخر؛ في الإمكان تأديبه علىٰ ذلك بالسجن أو غيره، ويكون تأديبه علىٰ ذلك حسب مراتب الظلم، لكن ما دام كافًّا عن الأذىٰ فعليك أن تصبر عليه وتحتسب وتجادله بالتي هي أحسن وتصفح عما يتعلق بشخصك من بعض الأذىٰ كما صبر الرسل وأتباعهم بإحسان.

وأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقنا جميعًا لحسن الدعوة إليه، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا، وأن يمنحنا جميعًا الفقه في دينه والثبات عليه، ويجعلنا من الهداة المهتدين والصالحين المصلحين، إنه جل وعلا جواد كريم.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلىٰ يوم الدين.





الرسالة الثانية

الدعوة إلى الله وأسلوبها المشروع[1]

(١) محاضرة ألقاها سماحته في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ونشرت في المجموع (ج٦/ ص٥١٥). انظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رحمه الله (٢٧/ ١٤٩-١٦٦).



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله قائد الغر المحجلين، وإمام الدعاة إلىٰ رب العالمين، نبينا وإمامنا محمد بن عبد الله وعلىٰ آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدىٰ بهداه إلىٰ يوم الدين.

❑ **أما بعد:**

فإني أشكر الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما مَنَّ به مِنْ هذا اللقاء بإخوة في الله وأبناء كرام في هذا المكان المبارك في مكة المكرمة، وفي رحاب البيت العتيق للتناصح والتواصي بالدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وبيان ثمراتها وفوائدها وأسلوبها، أسأل الله جل وعلا أن يجعله لقاء مباركًا، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يمنحنا جميعًا الفقهَ في دينه والثبات عليه، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يولي عليهم خيارهم ويصلح قادتهم، وأن يرزقهم جميعًا الفقه في الدين والاستقامة عليه، إنه جل وعلا جواد كريم.

ثم أشكر القائمين علىٰ جامعة أم القرىٰ وعلىٰ رأسهم الأخ الكريم معالي الدكتور: راشد بن راجح مدير هذه الجامعة علىٰ دعوته لي لهذا اللقاء، وأسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه، وأن يبارك في جهود الجميع ويكللها بالصلاح والنجاح، وأن يعيذنا جميعًا من مضلات الفتن وطوارق المحن إنه سميع قريب.

أيها الإخوة في الله عنوان هذه المحاضرة: «الدعوة إلىٰ الله سبحانه وأسلوبها

المشروع».

الدعوة إلىٰ الله شأنها عظيم، وهي من أهم الفروض والواجبات علىٰ المسلمين عمومًا وعلىٰ العلماء بصفة خاصة، وهي منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهم الأئمة فيها عليهم الصلاة والسلام، فالدعوة إلىٰ الله طريق الرسل وطريق أتباعهم إلىٰ يوم القيامة، والحاجة إليها بل الضرورة معلومة، فالأمة كلها من أولها إلىٰ آخرها بحاجة شديدة، بل في ضرورة إلىٰ الدعوة إلىٰ الله، والتبصير في دين الله، والترغيب في التفقه فيه والاستقامة عليه، والتحذير مما يضاده أو يضاد كماله الواجب أو ينقص ثواب أهله ويضعف إيمانهم.

فالواجب علىٰ أهل العلم بشريعة الله أينما كانوا أن يقوموا بمهمة الدعوة؛ لأن الناس في أشد الضرورة إلىٰ ذلك في مشارق الأرض ومغاربها، ونحن في غربة من الإسلام وقلة من علماء الحق، وكثرة من أهل الجهل والباطل والشر والفساد، فالواجب علىٰ أهل العلم بالله وبدينه أن يشمروا عن ساعد الجد، وأن يستقيموا علىٰ الدعوة وأن يصبروا عليها يرجون ما عند الله من المثوبة، ويخشون مغبة التأخر عن ذلك والتكاسل عنه، والله ﷻ أوجب علىٰ العلماء أن يبينوا، وأوجب علىٰ العامة أن يقبلوا الحق وأن يستفيدوا من العلماء وأن يقبلوا النصيحة، يقول الله ﷿: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٣].

فأحسن الناس قولًا من دعا إلىٰ الله وأرشد إليه وعلم العباد دينهم وفقههم فيه، وصبر علىٰ ذلك وعمل بدعوته، ولم يخالف قولُه فعلَه ولا فعلُه قولَه، هؤلاء هم أحسن الناس قولًا، وهم أصلح الناس وأنفع الناس للناس وهم الرسل الكرام والأنبياء وأتباعهم من علماء الحق.

فالواجب علىٰ كل عالم وطالب علم أن يقوم بهذا العمل حسب طاقته وعلمه، وقد يتعين عليه إذا لم يكن في البلد أو في القبيلة أو في المكان الذي وقع فيه المنكر غيره؛ فإنه يجب عليه عينًا أن يقول الحق وأن يدعو إليه، وعند وجود غيره يكون فرض كفاية إذا قام به البعض كفىٰ وإن سكتوا عنه أثموا جميعًا، فالواجب علىٰ أهل العلم بالله وبدينه أن ينصحوا لله ولعباده، وأن يقوموا بواجب الدعوة في بيوتهم ومع أهليهم وفي مساجدهم وفي طرقاتهم، وفي بقية أنحاء قريتهم وبلادهم وفي مراكبهم من طائرة أو سيارة أو قطار أو غير ذلك.

فالدعوة مطلوبة في كل مكان أينما كنت والحاجة ماسة إليها أينما كنت، فالناس في الطائرة محتاجون، وفي السيارة محتاجون، وفي القطار محتاجون، وفي السفينة محتاجون إلىٰ غير ذلك، وأهلك كذلك يلزمك أن تعنىٰ بهم أولًا كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وقال ﷿ لنبيه وخليله محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥] فالواجب علىٰ طالب العلم أن يعنىٰ بأهله ووالديه وأولاده وإخوانه إلىٰ غير ذلك يعلمهم ويرشدهم ويدعوهم إلىٰ الله ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كما قال ﷿: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ ثم قال سبحانه: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران:١٠٤] يعني: من كان بهذه الصفة فهو المفلح على الحقيقة علىٰ الكمال، وقد أمر الله بالدعوة في آيات ورغب فيها

سبحانه كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فُصِّلَت: ٣٣] الآية، وقوله سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وأخبر سبحانه أن الدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة هي سبيل النبي ﷺ، وهي سبيل أتباعه من أهل العلم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالواجب علينا جميعًا أن نعنىٰ بهذه المهمة أينما كنا، والواجب علىٰ أهل العلم كما تقدم أن يعنوا بها غاية العناية، ولا سيما عند شدة الضرورة إليها في هذا العصر، فإن عصرنا يعتبر عصر غربة للإسلام لقلة العلم والعلماء بالسنة والكتاب ولغلبة الجهل، وكثرة الشرور والمعاصي وأنواع الكفر والضلال والإلحاد، فالواجب حينئذ يتأكد علىٰ العلماء في الدعوة إلىٰ الله وإرشاد الناس إلىٰ ما خلقوا له من توحيد الله وطاعته وأداء واجبه وترك معصيته.

يقول سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١].

ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] وهذه العبادة تحتاج إلىٰ بيان، وهذه العبادة هي التي خلقنا لها، وأمرنا بها، وبعثت الرسل عليهم الصلاة والسلام لبيانها وللدعوة إليها، فلا بد من بيانها للناس من أهل العلم، وهي الإسلام والهدىٰ وهي الإيمان والبر والتقوىٰ، هذه

هي العبادة التي خلقنا لها أن نطيع الله ونطيع رسوله ﷺ في الأوامر والنواهي، وأن نخصه بالعبادة دون كل ما سواه، وهذه الطاعة تسمىٰ عبادة؛ لأنك تؤديها بذل وخضوع لله، والعبادة ذل وخضوع لله عز وجل وانكسار بين يديه بطاعة أوامره وترك نواهيه، وأصلها وأساسها توحيده، والإخلاص له، وتخصيصه بالعبادة وحده دون كل ما سواه.

والإيمان برسله عليهم الصلاة والسلام وعلىٰ رأسهم خاتمهم وإمامهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، ثم فعل ما أوجب الله من بقية الأوامر وترك ما نهىٰ الله عنه، هذه هي العبادة، وهذه هي التقوىٰ، وهذه هي الإسلام الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وهي الإيمان أيضًا الذي قال الله فيه جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٣٦] وقال فيه النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**»(١) الحديث.

«**أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق**»(٢).

وهذا هو الإيمان وهو الهدىٰ وهو الإسلام وهو العبادة التي خلقنا لها وهو البر، فهي ألفاظ متقاربة المعنىٰ، معناها طاعة الله ورسوله والاستقامة علىٰ دين الله، فمن استقام علىٰ دين الله فقد اتقىٰ، ومن استقام علىٰ دين الله فقد آمن به، ومن استقام علىٰ دين الله فقد أخذ بالإسلام، وأخذ بالهدىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم: ٢٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٩) بنحوه، ومسلم (١٦١) واللفظ له.

(٢) انظر السابق.

ومن استقام على دين الله فهو على البر الذي قال فيه سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٣] فالدعوة إليه سبحانه هي دعوة إلى البر وإلى التقى وإلى الإيمان وإلى الإسلام وإلى الهدى.

فعليك أيها العالم بالله وبدينه أن تنبه إلى هذا الأمر، وأن تشرحه للناس، وتوضح لهم حقيقة دينهم، ما هو الإسلام؟ ما هو الإيمان؟ ما هو البر؟ ما هو التقوى؟ هو طاعة الله ورسوله، هو العبادة التي خلقنا لها، سماها الله إسلامًا وسماها إيمانًا وسماها هدى في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم: ٢٣] وسماها برًّا في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٣] إلى غير ذلك.

وسماها الله إسلامًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

فالدعوة إلى الله جل وعلا دعوة إلى هذا الأمر، دعوة إلى عبادة الله التي خلقنا لها، دعوة إلى الاستقامة على ذلك، دعوة إلى طاعة الله ورسوله، دعوة إلى الإسلام، دعوة إلى البر، دعوة إلى الإيمان، والمعنى أنك تدعو الناس إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، وطاعة أوامره وترك نواهيه، وهذا الذي تدعو إليه يسمى إسلامًا ويسمى عبادة، ويسمى تقوى، ويسمى طاعة الله ورسوله، ويسمى برًّا ويسمى هدى

ويسمىٰ صلاحًا وإصلاحًا كلها أسماء متقاربة المعنىٰ.

فعلىٰ الدعاة إلىٰ الله وهم العلماء أن يبسطوا للناس هذا الأمر، وأن يشرحوه، وأن يوضحوه، أينما كانوا؛ مشافهة في خطب الجمعة وفي الدروس، وفي المواعظ العامة، وفي المناسبات التي تحصل بينهم، يبينون للناس هذه الأمور ويوضحونها للناس، وينتهزون الفرص في كل مناسبة؛ لأن الضرورة تدعو إلىٰ ذلك والحاجة الشديدة تدعو إلىٰ ذلك لقلة العلم والعلماء وكثرة الحاجة والضرورة إلىٰ البيان.

وهكذا يكون التعليم والتوجيه من طريق المكاتبات، ومن طريق المؤلفات، ومن طريق الإذاعة ووسائل الإعلام، ومن طريق المكالمات الهاتفية، لا يتأخر العالم عن أي طريق يبلغ فيه العلم تارة بالكتب، وتارة بالخطب في الجمع وفي الأعياد وغيرها، وتارة بتأليف الرسائل التي تنفع الناس.

فالواجب أن يكون وقت العالم معمورًا بالدعوة والخير وألا يشغله شاغل عن دعوة الناس وتعريفهم بدين الله، أن تكون أوقاته معمورة بطاعة الله، والدعوة إلىٰ سبيله والصبر علىٰ ذلك كما صبر الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

فمن أراد من أهل العلم أن يكون من أتباعه علىٰ الحقيقة فعليه بالدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة حتىٰ يكون من أتباعه علىٰ الحقيقة، ينفع الناس وينفع نفسه، ثم له بذلك مثل أجورهم ولو كانوا ملايين، هذه نعمة عظيمة وفائدة كبيرة. لك يا عبد الله الداعي إلىٰ الله، لك مثل أجور من هداه علىٰ يديك؛ لقول النبي ﷺ في الحديث

الصحيح الذي رواه مسلم: «**من دل علىٰ خير فله مثل أجر فاعله**»(١).

وهذا أمر عظيم من دعا إلىٰ خير فله مثل أجر فاعله، دعوت كافرًا فأسلم يكون لك مثل أجره، دعوت مبتدعًا فترك البدعة يكون لك مثل أجره، دعوت إنسانًا يتعامل بالربا فأطاعك يكون لك مثل أجره، دعوت إنسانًا يتعاطىٰ المسكر، فأجابك يكون لك مثل أجره، دعوت إنسانًا عاقًّا لوالديه فأطاعك وبر والديه يكون لك مثل أجره، دعوت إنسانًا يغتاب الناس فترك الغيبة يكون لك مثل أجره، وهكذا.. هذا خير عظيم «**من دل علىٰ خير فله مثل أجر فاعله**»(٢).

والحديث الآخر يقول ﷺ: «**من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»(٣) وهذا الحديث من أصح الأحاديث، وقد رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فأنت يا عبد الله إن دعوت إلىٰ خير فلك مثل أجور المهتدين علىٰ يديك، وإن دعوت إلىٰ شر فعليك مثل أوزارهم وآثامهم، نسأل الله العافية، وفي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لعلي لما بعثه لخيبر: «**فوالله لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»(٤) وهذه الفائدة العظيمة، واحد من اليهود يهديه الله علىٰ يده خير له من حمر النعم، وأنت كذلك ذهبت إلىٰ قرية من القرىٰ أو

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٥٠٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (٦٩٨٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٦٣٧٦).

مدينة من المدن أو قبيلة من القبائل فدعوتهم إلىٰ الله، وهدىٰ الله علىٰ يديك واحدًا خير لك من حمر النعم، والمقصود خير من الدنيا وما عليها.

وهكذا لو كنت في بلاد فيها كفار فدعوتهم وهداهم الله علىٰ يديك لك مثل أجورهم، ولك بكل واحد خير من حمر النعم، وهنا كفار يوجدون من العمال فإذا تيسر للعالم الذهاب إليهم ودعوتهم فهداهم الله علىٰ يديه أو هدىٰ بعضهم يكون له مثل أجورهم، فالدعوة إلىٰ الله في كل مكان لها ثمراتها العظيمة مع الكفار ومع العصاة ومع غيرهم، قد يكون غير عاص لكن عنده كسل، وعدم نشاط فإذا سمع دعوتك زاد نشاطه في الخير ومسابقته إلىٰ الطاعات فيكون لك مثل أجره.

أما أسلوب الدعوة: فبينه الرب جل وعلا وهو الدعوة بالحكمة؛ أي: بالعلم والبصيرة، بالرفق واللين لا بالشدة والغلظة هذا هو الأسلوب الشرعي في الدعوة إلا من ظلم، فمن ظلم يعامل بما يستحق لكن من يتقبل الدعوة ويصغي إليها، أو ترجو أن يتقبلها لأنه لم يعارضك ولم يظلمك فارفق به. يقول جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] فالحكمة هي العلم، قال الله قال رسوله، والموعظة الحسنة الترغيب والترهيب تبين ما في طاعة الله من الخير العظيم، وما في الدخول في الإسلام من الخير العظيم، وما عليه إذا استكبر ولم يقبل الحق إلىٰ غير ذلك.

أما الجدال بالتي هي أحسن فمعناه: بيان الأدلة من غير عنف عند وجود الشبهة لإزالتها وكشفها، فعند المجادلة تجادل بالتي هي أحسن وتصبر وتتحمل كما في الآية الأخرىٰ يقول سبحانه: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فالظالمون لهم شأن آخر، لكن ما دمت تستطيع الجدال بالتي هي أحسن وهو يتقبل أو ينصت أو يتكلم بأمر لا يعد فيه ظالمًا ولا معتديًا فاصبر وتحمل بالموعظة والأدلة الشرعية والجدال الحسن، يقول الله سبحانه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقول النبي ﷺ: «**البر حسن الخلق**»(١).

وقد أثنىٰ الله علىٰ النبي ﷺ في أمر الدعوة فقال جل وعلا: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ونبينا أكمل الناس في دعوته، وأكمل الناس في إيمانه، لو كان فظًّا غليظ القلب لانفض الناس من حوله وتركوه فكيف أنت، فعليك أن تصبر وعليك أن تتحمل ولا تعجل بسب أو كلام سيئ أو غلظة، وعليك باللين والرحمة والرفق.

ولما بعث الله موسىٰ وهارون لفرعون ماذا قال لهما، قال سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤] فأنت كذلك لعل صاحبك يتذكر أو يخشىٰ.

وفي الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ أنه قال: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به، اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه**»(٢). وهذا وعد عظيم في الرفق ووعيد عظيم في المشقة.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**من يحرم الرفق يحرم الخير كله**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٦٦٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (٦٧٦٣).

ويقول ﷺ: «**عليكم بالرفق فإنه لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**»(١).

فالواجب على الداعي إلى الله أن يتحمل، وأن يستعمل الأسلوب الحسن الرفيق اللين في دعوته للمسلمين والكفار جميعًا، لا بد من الرفق مع المسلم ومع الكافر ومع الأمير وغيره ولا سيما الأمراء والرؤساء والأعيان، فإنهم يحتاجون إلى المزيد من الرفق والأسلوب الحسن لعلهم يقبلون الحق ويؤثرونه على ما سواه، وهكذا من تأصلت في نفسه البدعة أو المعصية ومضى عليه فيها السنون يحتاج إلى صبر حتى تقتلع البدعة وحتى تزال بالأدلة، وحتى يتبين له شر المعصية وعواقبها الوخيمة، فيقبل منك الحق ويدع المعصية.

فالأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله وإثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات.

ويلحق بهذا الباب ما قد يفعله بعض الناس من المظاهرات التي قد تسبب شرًّا عظيمًا على الدعاة، فالمسيرات في الشوارع والهتافات والمظاهرات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبة التي هي أحسن، فتنصح الرئيس والأمير وشيخ القبيلة بهذا الطريق لا بالعنف والمظاهرة، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات ولا المسيرات، ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم.

---

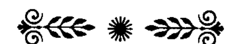
(١) أخرجه مسلم (٦٧٦٧).

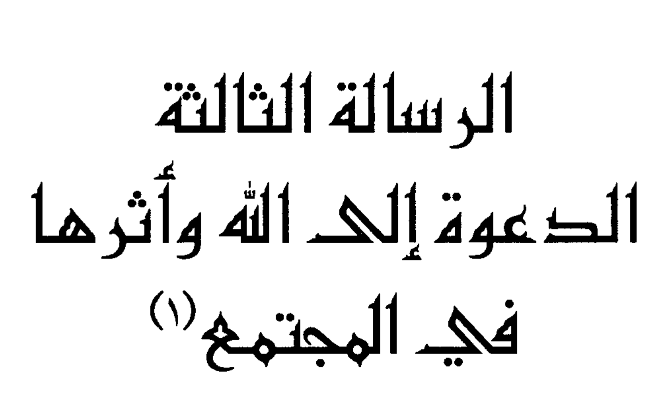
ولا شك أن هذا الأسلوب يضر الدعوة والدعاة، ويمنع انتشارها ويحمل الرؤساء والكبار علىٰ معاداتها ومضادتها بكل ممكن فهم يريدون الخير بهذا الأسلوب لكن يحصل به ضده، فكون الداعي إلىٰ الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم ولو طالت المدة أولىٰ به من عمل يضر الدعوة ويضايقها، أو يقضي عليها ولا حول ولا قوة إلا بالله، فالنصيحة مني لكل داع إلىٰ الله أن يستعمل الرفق في كلامه، وفي خطبته، وفي مكاتباته، وفي جميع تصرفاته حول الدعوة، يحرص علىٰ الرفق مع كل أحد إلا من ظلم، وليس هناك طريق أصلح للدعوة من طريق الرسل فهم القدوة، وهم الأئمة، وقد صبروا، صبر نوح علىٰ قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وصبر هود، وصبر صالح، وصبر شعيب، وصبر إبراهيم، وصبر لوط، وهكذا غيرهم من الرسل ثم أهلك الله أقوامهم بذنوبهم وأنجىٰ الله الأنبياء وأتباعهم.

فلك أيها الداعية أسوة في هؤلاء الأنبياء والأخيار، ولك أسوة بالنبي محمد ﷺ الذي صبر في مكة وصبر في المدينة علىٰ وجود اليهود عنده والمنافقين ومن لم يسلم من الأوس والخزرج حتىٰ هداهم الله، وحتىٰ يسر الله إخراج اليهود، وحتىٰ مات المنافقون بغيظهم، فأنت لك أسوة بهؤلاء الأخيار فاصبر وصابر واستعمل الرفق ودع عنك العنف، ودع كل سبب يضيق علىٰ الدعوة ويضرها ويضر أهلها. واذكر قوله تعالىٰ يخاطب نبيه محمدًا ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] الآية.

وأسأل الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يوفقنا وإياكم وسائر المسلمين للعلم النافع والعمل الصالح وحسن الدعوة إليه، وأن يوفق علماءنا جميعًا في كل مكان، ودعاة الحق في كل مكان للعلم النافع والبصيرة، والسير علىٰ المنهج الذي

سار عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام في الدعوة إليه وإبلاغ الناس دينه، إنه جل وعلا جواد كريم، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.





---

(١) نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الثاني، السنة الثانية، شوال عام ١٣٨٩هـ. وفي (ج٢) من هذا المجموع (ص٣٤٤-٣٤٧) انظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٧/ ١٦٦-١٧٠).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

❏ **أما بعد:**

فلقد رفع الله شأن الدعاة إليه وأبلغ في الثناء عليهم، حيث يقول سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فُصِّلَت: ٣٣] ولا ريب أن هذا الثناء يحفز الهمم ويلهب الشعور ويخفف عبء الدعوة ويدعو إلىٰ الانطلاق في سبيلها بكل نشاط وقوة.

وقد روىٰ عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنه تلىٰ هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية. فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلىٰ الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلىٰ ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته، وقال إنني من المسلمين. هذا خليفة الله». انتهىٰ.

ولا ريب أن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - هم سادة الناس في الدعوة وهم أولىٰ الناس بهذه الصفات الجليلة التي ذكرها الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأولاهم بذلك وأحقهم به علىٰ التمام والكمال؛ إمامهم وسيدهم وأفضلهم وخاتمهم نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ الذي بلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة وصبر علىٰ الدعوة إلىٰ ربه أتم صبر وأكمله، حتىٰ أظهر الله به الدين وأتم به النعمة ودخل الناس بسبب

دعوته في دين الله أفواجًا.

ثم سار أصحابه الكرام بعده علىٰ هذا السبيل العظيم والصراط المستقيم فصدقوا الدعوة ونشروا لواء الإسلام في غالب المعمورة، لكمال صدقهم وعظيم جهادهم وصبرهم علىٰ الدعوة والجهاد صبرًا لا يعتريه ضعف أو فتور، وتحقيقهم الدعوة والجهاد بالعمل في جميع الأحوال، فضربوا بذلك للناس بعد الرسل أروع الأمثال وأصدقها في الدعوة والجهاد والعلم النافع والعمل الصالح، وبذلك انتصروا علىٰ أعدائهم وبلغوا مرادهم وحازوا قصب السبق في كل ميدان.

وهم أولىٰ الناس بعد الرسل بالثناء والصفات السالفة التي ذكرها الحسن، وكل من سار علىٰ سبيلهم وصبر علىٰ الدعوة إلىٰ الله، وبذل فيها وسعه فله نصيبه من هذا الثناء الجزيل الذي دلت عليه الآية الكريمة والصفات الحميدة التي وصف بها الحسن الدعاة إلىٰ الحق.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من دل علىٰ خير فله مثل أجر فاعله**»(١).

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»(٢) خرجهما مسلم في «صحيحه».

وقال لعلي رضي الله عنه لما بعثه إلىٰ خيبر: «**فوالله لأَنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»(٣) متفق علىٰ صحته.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٦٩٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٦٣٧٦).

وفي هذه الأحاديث وما جاء في معناها تنبيه للدعاة إلىٰ الله والمجاهدين في سبيله علىٰ أن المقصود من الجهاد والدعوة إلىٰ الله سبحانه هو هداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلىٰ النور وانتشالهم من وهدة الشرك وعبادة الخلق إلىٰ عز الإيمان ورفعة الإسلام وعبادة الإله الحق الواحد الأحد الذي لا تصلح العبادة لغيره، ولا يستحقها سواه ﷻ.

وليس المقصود من الدعوة والجهاد هو سفك الدماء وأخذ المال واسترقاق النساء والذرية وإنما يجيء ذلك بالعرض لا بالقصد الأول، وذلك عند امتناع الكفار من قبول الحق وإصرارهم علىٰ الكفر وعدم إذعانهم للصغار وبذل الجزية حيث قبلت منهم فعند ذلك شرع الله للمسلمين قتالهم واغتنام أموالهم واسترقاق نسائهم وذرياتهم، ليستعينوا بهم علىٰ طاعة الله ويعلموهم شرع الله، وينقذوهم من موجبات العذاب والشقاء، ويريحوا أهل الإسلام من كيد المقاتلة وعدوانهم ووقوفهم حجر عثرة في طريق انتشار الإسلام ووصوله إلىٰ القلوب والشعوب.

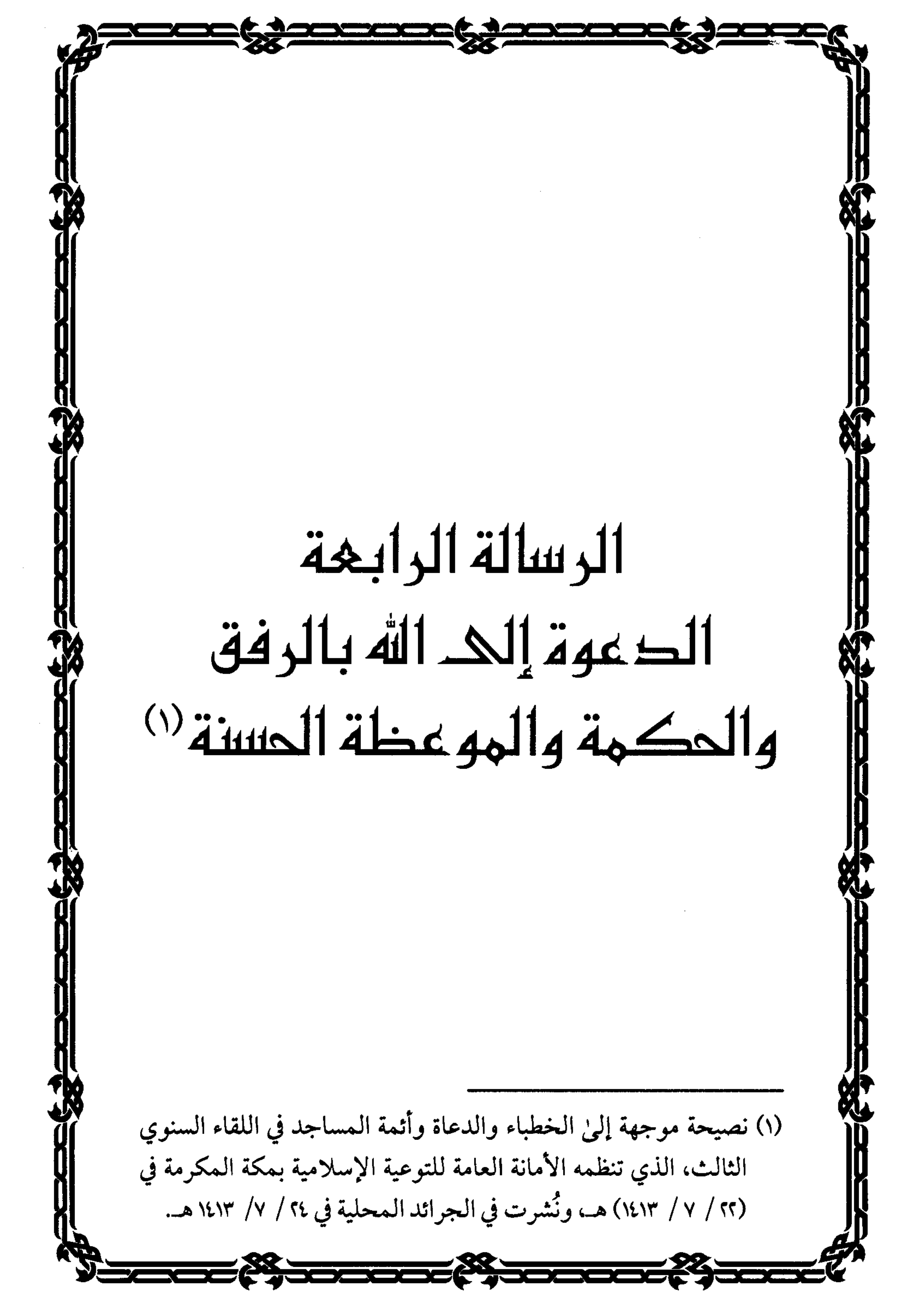
ولا ريب أن هذا من أعظم محاسن الإسلام التي يشهد له بها أهل الإنصاف والبصيرة من أبنائه وأعدائه، وذلك من رحمة الله الحكيم العليم الذي جعل هذا الدين الإسلامي دين رحمة وإحسان وعدل ومساواة يصلح لكل زمان ومكان ويفوق كل قانون ونظام.

ولو جمعت عقول البشر كلهم وتعاضدوا علىٰ أن يأتوا بمثله أو أحسن منه لم يستطيعوا إلىٰ ذلك من سبيل، فسبحان الذي شرعه ما أحكمه وأعدله، وما أعلمه بمصالح عباده، وما أبعد تعاليمه من السفه والعبث وما أقربها من العقول الصحيحة والفطر السليمة.

فيا أيها الأخ المسلم، ويا أيها العاقل الراغب في الحق تدبر كتاب ربك وسنة نبيك ﷺ، وادرس ما دل عليه من التعاليم القويمة والأحكام الرشيدة والأخلاق الفاضلة تجد ما يشفي قلبك ويروي غلتك ويشرح صدرك ويهديك إلىٰ سواء السبيل.

ونسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، ويفقههم في الدين، وينصر بهم الحق، وأن يوفق ولاة أمرهم لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد، وأن يعينهم علىٰ القيام بالدعوة إليه علىٰ بصيرة إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁



الرسالة الرابعة
الدعوة إلى الله بالرفق والحكمة والموعظة الحسنة[1]

(١) نصيحة موجهة إلىٰ الخطباء والدعاة وأئمة المساجد في اللقاء السنوي الثالث، الذي تنظمه الأمانة العامة للتوعية الإسلامية بمكة المكرمة في (٢٢/ ٧/ ١٤١٣) هـ، ونُشرت في الجرائد المحلية في ٢٤/ ٧/ ١٤١٣ هـ.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله وأمينه علىٰ وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن سلك سبيله، واهتدىٰ بهداه إلىٰ يوم الدين.

❑ **أما بعد:**

فإني أشكر الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما من به من هذا اللقاء بإخواني في الله، من: الخطباء، والدعاة، وأئمة المساجد في رحاب بيت الله العتيق، للتناصح، والتواصي بالحق، والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ.

وقد سمعنا جميعًا كلمة الأمين العام للتوعية عن الدعاة، وأعمالهم، وعما حصل من الخير العظيم علىٰ يد الدعاة، ومن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والتعاون فيما بينهم مع الأجهزة الحكومية، وقد سرنا هذا كثيرًا والحمد لله، ونسأل الله أن يزيد الجميع من التوفيق والإعانة والتسديد، وأن يجعلهم مفاتيح خير ومغاليق شرٍّ، وأن يسدد خطاهم، ويصلح قلوبهم وأعمالهم.

ولا شك أن الواجب علىٰ الجميع التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، وأن علىٰ الدعاة التعاون مع الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، وعلىٰ الأجهزة الحكومية التعاون مع الجميع في هذا الأمر؛ لأن التعاون علىٰ البر والتقوىٰ يحصل به الخير العظيم، وإنجاز المهمة، وتحصيل المقصود والحمد لله علىٰ ذلك.

إن الكلمة الوافية التي تفضل بها فضيلة الشيخ: محمد بن عبد الله بن سبيل الرئيس العام لشئون المسجد الحرام، وشئون المسجد النبوي فيما يتعلق بالدعوة والدعاة اتسمت بالجودة وقد أفاد، وأبان ما ينبغي بيانه، وإنني أؤكد علىٰ ما ذكره في هذا الباب من أن الداعية عليه أن يأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر، وأن يتحلىٰ بالرفق واللين وعدم الشدة، وكذلك الخطيب والواعظ يجب أن يتحريا الأسلوب، الذي يحصل به المطلوب، وإزالة المنكر، وتحريك القلوب إلىٰ الخير، وزجرها عن الشر، ولا شك أن الخطيب عليه أن يدعو إلىٰ الخير، وإقامة أمر الله، وإزالة ما نهىٰ الله عنه، والسعي إلىٰ ذلك بالطرق والوسائل التي يرجىٰ فيها تحقيق ذلك.

ولقد استمعنا أيضًا إلىٰ كلمة الشيخ: سعيد بن مسفر عن الدعاة، هي كلمة أجاد فيها وأفاد، وأوضح ما ينبغي إيضاحه، فجزاه الله خيرًا وبارك فيه، وإنه لا يخفىٰ علىٰ الجميع أن الدعوة إلىٰ الله سبحانه وهي وظيفة الرسل وأتباعهم بإحسان، وكانوا عليهم الصلاة والسلام يتحرون في دعوتهم، وينظرون في المصالح والمفاسد، ويجتهدون عليهم الصلاة والسلام في تحقيق المصلحة ودرء المفسدة، ويصبرون علىٰ الأذىٰ وهم أصبر الناس علىٰ الأذىٰ، وهم الصفوة في هذا الباب

وهم أشد الناس بلاء، وهم القدوة الحسنة في كل شيء.

والواجب علىٰ الدعاة إلىٰ الله من الخطباء وغيرهم، وعلىٰ الأمراء والحكام الصبر في ذلك، مع القيام بالواجب قولًا وعملًا، والبدء بالأهم فالأهم، والعناية بما يحتاجه الناس في دينهم ودنياهم، والتحذير مما انتشر بينهم من المنكرات والدعوة إلىٰ تركها والتحذير منها، ومن إشاعة الفاحشة بين الناس؛ لقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾

[النور: ١٩] الآية من سورة النور.

وقوله ﷺ: «**من ستر مسلمًا؛ ستره الله في الدنيا والآخرة**»[1] رواه الإمام مسلم في صحيحه. وإنما المطلوب النهي عن وجودها، والتحذير من اقترافها، والحث علىٰ التوبة إلىٰ الله منها، والحث علىٰ فعل الأوامر والمسارعة إليها، وإذا كان المؤمن يعلم من إنسان أنه وقع في شيء مما حرم الله، فإنه ينصحه بينه وبينه، ويقول للناس كلامًا عامًّا، وينصح الناس، ويبين لهم ما حرم الله عليهم.

والداعي إلىٰ الله- خطيبًا كان، أو واعظًا أو محاضرًا، أو آمرًا بالمعروف، أو ناهيًا عن المنكر - عليه أن يتحرىٰ في دعوته وأمره ونهيه ما يحقق المطلوب، ويزيل المكروه، وما يدعو إلىٰ الخير ويبعد عن الشر.

❑ **ومن المعلوم أن إنكار المنكر على مراتب أربع:**

الأولىٰ: أن يزول المنكر بالطرق الشرعية، فهذا يجب الإسراع في إنكاره بالطرق الشرعية.

الثانية: أن يخف ويقل ولكن لا يزول بالكلية، فهذا كالذي قبله يجب الإسراع في إنكاره بإزالته، أو تخفيفه.

الثالثة: أن يزول ويحل محله منكر آخر مثله، فهذا محل اجتهاد ونظر، فإن رأىٰ في اجتهاده أن المنكر الذي يحل محله أقل منه وأيسر؛ قام بإنكار هذا المنكر؛ وسعىٰ في إزالته، ولو ترتب عليه شيء أخف منه في اعتقاده، وإلا توقف.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٠٦).

الحالة الرابعة: أن يزول المنكر ولكن يأتي شر منه، فهذا لا يجوز إنكاره؛ لما يترتب علىٰ إنكاره من وجود ما هو شر منه. كأن تنهىٰ عن معصية، ويقع بسبب ذلك الشرك الأكبر، أو تنهىٰ عن شرب المسكر، فيقع بسبب ذلك القتل.

وقد نبه العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «إغاثة اللهفان» علىٰ هذه المراتب الأربع، ومن تأمل نصوص الكتاب والسنة، عرف صحة ذلك ومن ذلك، قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] الآية من سورة الأنعام.

والمقصود: أن الآمر والناهي ينظر ما هو أقرب إلىٰ الخير، وما هو أكثر خيرًا، وما هو أقل شرًّا.

ومما يتعلق بهذا الموضوع عدم الاشتغال بعيوب الناس عامة، كبيرة أو صغيرة، بل يشتغل بالمنكرات الموجودة يُحَذِّر من وجودها، ويدعو إلىٰ القضاء عليها وإنكارها بالحكمة، والأسلوب الحسن؛ حتىٰ يقضي عليها، فيذكر المنكر الموجود بين الناس، ويدعو الهيئة والدعاة إلىٰ إنكاره، ويدعو المجتمع إلىٰ تركه، والحذر منه؛ كالربا، وشرب المسكر، والغيبة، والنميمة، والاختلاط بين الرجال والنساء، وسماع الأغاني والملاهي... إلىٰ غيرها من المنكرات الموجودة بين الناس، ومن ذلك أيضًا التثاقل عن الصلاة في الجماعة وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وإيذاء الجار... وغير ذلك مما نهىٰ الله عنه سبحانه ورسوله ﷺ.

وأما ما يقع من بعض الدعاة في بعض الدول من الإنكار باليد، فليس من الحكمة، وإنما الحكمة أن يتصل بالرؤساء والمسئولين ويتفاهم معهم، ويدعوهم

إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، حتىٰ يقوموا هم بإزالة المنكر، وحتىٰ ينتشر الدعاة في المجتمع، ويقوموا بالنصيحة والتوجيه، فلا تتعرض لهم الدولة بالحبس والإيذاء والتنكيل، بل تكون عونًا لهم في نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن. ويبقىٰ الدعاة علىٰ نشاطهم وقوتهم في الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

أما أن يغتال فلانًا، أو يضرب فلانًا ويشتم فلانًا - فهذا يسبب مشاكل كثيرة، وفتنًا كبيرة، ويخالف قوله سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] الآية من سورة النحل. وقول الله سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية من سورة آل عمران. فعلىٰ الداعي إلىٰ الله سبحانه أن يسلك الطريق الذي سلكه النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأتباعهم بإحسان، فالنبي بقي في مكة المكرمة ثلاثة عشر عامًا ما عاقب أحدًا، وما قاتل أحدًا، وإنما كان يدعو إلىٰ الله سبحانه هو وأصحابه بالحكمة، والموعظة الحسنة، ويترك الإنكار الذي يترتب عليه فتنة وشرٌّ. فما ضرب ولا قتل، ولا سجن؛ حتىٰ مكنه الله من ذلك بعد الهجرة إلىٰ المدينة، ولما توجه إلىٰ مكة للعمرة عام ستٍّ من الهجرة، وحالوا بينه وبين ذلك سلك المسلك الذي فيه الخير وهو قبول الصلح، فرضي بالصلح مع قريش؛ لما في ذلك من تحصيل الخير الأكثر والأعظم، فصالحهم علىٰ أمر فيه غضاضة علىٰ المسلمين، وصبر علىٰ ذلك عليه الصلاة والسلام، لما في ذلك من المصلحة العامة للمسلمين، ولمن يرغب في الدخول في الإسلام، فللدعاة أسوة في نبيهم عليه الصلاة والسلام.

ونحن بحمد الله في دولة إسلامية تأمر بالمعروف، وتنهىٰ عن المنكر، وتدعو

إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وتُحَكِّم شرعه، فالواجب التعاون معها علىٰ الخير، وعلىٰ إزالة ما يوجد من الشر بالطرق الحكيمة، والأسلوب الحسن، مع الإخلاص لله سبحانه، والصدق في العمل، وعلاج الأوضاع المحتاجة إلىٰ العلاج بالطرق الشرعية حسب الطاقة فيما بيننا وبين ولاة الأمور- وفقهم الله- بالمكاتبة، والمشافهة، وبالتعاون مع العلماء بالمناصحة لهم، وهكذا يجب علىٰ الدعاة إلىٰ الله سبحانه في جميع الدول أن يعالجوا الأوضاع المخالفة للشرع المطهر بالحكمة، والموعظة الحسنة، والأسلوب الحسن، ويتعاونوا مع المسئولين علىٰ الخير، ويتواصوا بالحق مع الرفق، والتعاون مع الدولة بالحكمة؛ حتىٰ لا يؤذىٰ الدعاة، وحتىٰ لا تعطل الدعوة، فالحكمة في الدعوة بالأسلوب وبالتعاون علىٰ البر والتقوىٰ هي الطريق إلىٰ إزالة المنكر، أو تقليله، وتخفيف الشر، ومن أهم ذلك الدعوة إلىٰ تحكيم الشريعة الإسلامية، فهذا هو الطريق إلىٰ العلاج، والإصلاح ولو لم يحصل المطلوب كله، لكن يحصل بعض الخير والتجاوب من الحكومة، التي ينكرون عليها، فيقل الشر ويكثر الخير.

فلا بد من الحكمة في الدعوة بالعلم، والعلم يدعو إلىٰ الرفق، وإلىٰ تقديم الأفضل فالأفضل، ويدعو إلىٰ تقديم الأهم فالأهم.

والدعوة إلىٰ إزالة منكر إذا كانت تؤدي إلىٰ منكر أشد لا تجوز، والدعوة إلىٰ فعل أمر يؤدي إلىٰ ما هو أخطر منه لا تجوز، فالواجب السعي فيما هو سبب لتكثير الخير، وتقليل الشر، والبعد عن ما هو أشر وأعظم، وما يفضي إلىٰ الشرك الأكبر مع دولتك في بلادك، ومع غيرها، ومع الرؤساء والمسئولين، ومع الأمراء وغيرهم، فالواجب التعاون معهم في إزالة الشر وتقليله، وتكثير الخير، وإزالة ما هو مخالف

للشرع حسب الطاقة.

والمقصود أن الواجب علينا أن نعمل بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وبسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ونسير علىٰ ضوئها، وأن نتفاهم فيما بيننا، وإذا أُشكل شيء، طرحناه للبحث بيننا، ورفعناه لمن فوقنا؛ حتىٰ يزال الشر، ويُقَرّ الخير.

والتناصح والتعاون لا يأتي إلا بخير، والعجلة تأتي بالشر، فالواجب علينا- معشر طلبة العلم، ومعشر الدعاة، ومعشر الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر- أن نتحرىٰ ما هو الأفضل للحصول علىٰ الخير، وأن نتحرىٰ في أسلوبنا وفي أمرنا ونهينا، وفي دعوتنا وتصرفاتنا كلها ما هو الأقرب إلىٰ رضا الله، وما هو الأقرب لحصول المطلوب الذي يرضي الله سبحانه، وإزالة المنكر وحصول الخير، وعلينا أن نحرص عليه ونتعاون فيه ونتظافر فيه، وإذا دعت الحاجة إلىٰ الشدة، فالواجب الرفع إلىٰ المسئولين عن إزالة ذلك الأمر ومتابعته حتىٰ يزول.

الذي أنصح به إخواني في هذه البلاد، وفي كل مكان أن يتحروا طريقة المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام، وطريقة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في القول والعمل، ويكونوا أسوة صالحة في أقوالهم وأعمالهم، وأن يبدءوا بأنفسهم في كل خير، وفي ترك كل شرٍّ؛ حتىٰ يكونوا قدوة عملية في أعمالهم، وأحوالهم، وأخلاقهم، ورفقهم، ورحمتهم وإحسانهم، وأن يحرصوا دائمًا أن يتحروا في الأمر، وأن يكون خطؤهم في العفو والرفق أولىٰ من خطئهم في الشدة.

وأسأل الله أن يوفق الجميع للعلم النافع، والعمل الصالح، وأن يصلح القلوب والأعمال، وأن يوفق جميع الدعاة، وجميع العلماء في كل مكان لما هو الأهدىٰ

والأصلح، ويزيدهم من العلم والإيمان، وأن يوفق قادتهم لما يرضيه، ويصلح بطانتهم، ويعيذهم من كل سوء، وأن يجعلهم هداة مهتدين، وأن يوفقهم لتحكيم الشريعة والحكم بها، وأن يزيل كل من لا يرضىٰ بذلك ولا يوافق عليه، وأن يبدلهم بخير، منه، إنه جل وعلا جواد كريم. وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه.





الرسالة الخامسة

مراتب الدعوة إلى الله تعالى [1]

---

(١) نشر في مجلة راية الإسلام، العدد الأول، ذو الحجة سنة ١٣٧٩هـ السنة الأولىٰ ص٩-١٢، والعدد الثالث صفر سنة ١٣٨٠، وفي ج٢ من هذا المجموع ص ٣٤١-٣٤٣. انظر: «مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٧/ ١٧٠-١٧٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله.

❑ **أما بعد:**

فإن الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ من أهم الواجبات الإسلامية، وهي سبيل الرسل وأتباعهم إلىٰ يوم القيامة.

وقد أمر الله بها في كتابه الكريم وأثنىٰ علىٰ أهلها غاية الثناء، فقال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٣].

فانظر أيها القارئ الكريم كيف أمر الله سبحانه في الآية الأولىٰ بالدعوة إليه، وأوضح مراتب الدعوة حتىٰ يكون الداعي في هذا السبيل العظيم علىٰ بصيرة، وما ذاك إلا لأن المدعوين أصناف كثيرة وطبقات مختلفة.

فمنهم الراغب في الخير ولكنه غافل قليل البصيرة فيحتاج إلىٰ دعوته بحكمة وهي تفهيمه الحق وإرشاده إليه وتنبيهه علىٰ ما فيه من المصلحة العاجلة والآجلة، فعند ذلك يقبل الدعوة وينتبه من غفلته وجهله ويبادر إلىٰ الحق، ومنهم المعرض عن الحق المشتغل بغيره فمثل هذا يحتاج إلىٰ الموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب

والتنبيه علىٰ ما في التمسك بالحق من المصالح العاجلة والآجلة وعلىٰ ما في خلافه من الشقاء والفساد وسيئ العواقب، ولعله بهذا يجيب إلىٰ الحق ويترك ما هو عليه من الباطل.

ولا ريب أن هذا المقام مقام عظيم يحتاج الداعي فيه إلىٰ مزيد من الصبر والحلم والرفق بالمدعو تأسيًا بإمام الدعاة وسيدهم وهو محمد بن عبد الله ﷺ، الطبقة الثالثة مِن الناس مَن له شبهة قد حالت بينه وبين فهم الحق والانقياد له فهذا يحتاج إلىٰ مناقشة وجدال بالتي هي أحسن حتىٰ يفهم الحق وتنزاح عنه الشبهة.

ومثل هذا يجب علىٰ الداعي أن يرفق به أكثر من الذين قبله وأن يصبر علىٰ مناقشة واقتلاع جذور الشبهة من قلبه، وذلك بإيضاح الأدلة الدالة علىٰ الحق وتنويعها وشرحها شرحًا وافيًا جليًّا علىٰ حسب لغة المدعو وعرفه؛ إذ ليس كل أحد يفهم اللغة العربية فهمًا جيدًا، وإن كان من أهل العلم فإنه قد يدخل عليه من لغته وعادته وعادة قومه ما يلبس عليه المعنىٰ الذي أراده الشارع فيحصل بذلك خطأ كبير وقول علىٰ الله ورسوله بغير علم.

ولا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ بصيرة ما يترتب علىٰ ذلك من الفساد الكبير في الدنيا والآخرة.

ومن هنا يعلم الداعي إلىٰ الله تعالىٰ أنه في حاجة شديدة إلىٰ الفقه في الدين، والبصيرة بأحكام الشريعة، والمعرفة بلغة المدعوين وعرفهم، وذلك يوجب عليه التوسع في فهم الكتاب والسنة، والعناية بمعرفة ما أراد الله ورسوله ﷺ، والعناية أيضًا بدراسة اللغة العربية، وسيرة النبي ﷺ من حين بعثه الله إلىٰ أن قبضه إليه دراسة وافية

حتىٰ يتمكن بذلك من إرشاد الأمة إلىٰ ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أخلاق وأعمال، وعلىٰ حسب اجتهاده وعمله وصبره يكون حظه من الثناء الحسن الذي أثنىٰ الله به علىٰ الدعاة إليه في الآية المتقدمة وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الآية.

وهذه الآيه الكريمة تفيد أن الدعاة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ هم أحسن الناس قولًا إذا حققوا قولهم بالعمل الصالح، والتزموا الإسلام عن إيمان ومحبة وفرح بهذه النعمة العظيمة، وبذلك يتأثر الناس بدعوتهم وينتفعون بها ويحبونهم عليها، بخلاف الدعاة الذين يقولون ما لا يفعلون فإنهم لا حظ لهم من هذا الثناء العاطر، ولا أثر لدعوتهم في المجتمع، وإنما نصيبهم في هذه الدعوة المقت من الله سبحانه والسب من الناس والإعراض عنهم والتنفير من دعوتهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقال الله موبخًا لليهود: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤ ﴾ [البقرة: ٤٤] فأرشد سبحانه في هذه الآية إلىٰ أن مخالفة الداعي لما يقول أمر يخالف العقل كما أنه يخالف الشرع، فكيف يرضىٰ بذلك من له دين أو عقل.

اللهم اهدنا لما فيه رضاك واجعلنا من الذين يهدون بالحق وبه يعملون، إنك أكرم مسئول وخير مجيب.

* * *



الرسالة السادسة
حكمة الداعي وأدب المدعو[1]

(١) أصل الكلمة محاضرة ألقاها سماحته في مسجد الفقيه بمكة المكرمة في رجب عام ١٤١٢ هـ. انظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للعلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (٧/ ٢٦١-٢٨١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخليله وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن، سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن التذكير بالله، والدعوة إلى سبيله من سنة المرسلين عليهم الصلاة والسلام، فقد بعثهم الله دعاة للحق، وهداة للخَلْق، يبشرون وينذرون لإقامة الحجة، وقطع المعذرة، كما قال جل وعلا: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦]، وهكذا خلفاؤهم من أهل العلم وورثتهم هذا طريقهم وسبيلهم، الدعوة إلى الله، والتذكير بالله، والتبشير للمتقين والإنذار لغيرهم، فالله سبحانه خلق الخَلْق لعبادته، وأرسل الرسل؛ ليبينوا ذلك، ويدعوا إليه، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالثقلان: الجن والإنس خُلقوا ليعبدوا الله، وهذه العبادة هي حق الله على عباده المكلفين من جنٍّ وإنس، وقد بعث الله الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ ليبينوا هذه العبادة، ويدعوا إليها ويشرحوها للناس، وأنزل الكتب لهذا الأمر، وأعظمها وأفضلها وأكملها وخاتمها القرآن العظيم، فيه بيان الهدى وطريق السعادة، فيه بيان ما يرضي الله ويقرب إليه من أقوال وأعمال ومقاصد، وبيان

ما يغضب الله، ويباعد من رحمته كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝﴾ [هود: ١، ٢].

وقال سبحانه في أول سورة إبراهيم: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقال سبحانه في سورة النحل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [النحل: ٨٩]، وقال عز وجل في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ...﴾ [الحديد: ٢٥] الآية، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

فجدير بكل مؤمن ومؤمنة التدبر لكتاب الله، والتعقل لما ذكره الله فيه، والإكثار من تلاوته لمعرفة ما فيه، وللعمل بما دل عليه كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فُصِّلَت: ٤٤]. وقال عز وجل: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝﴾ [ص: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [النحل: ٨٩].

فجدير بنا جميعًا من الرجال والنساء، جدير بالعلماء وغير العلماء التدبر لكتاب الله، والتعقل له، والعناية به لمعرفة الحق واتباعه، ولمعرفة ما يرضي الله ويقرب إليه من قول وعمل؛ حتىٰ نعمل به، ولمعرفة ما يغضب الله، ويباعد من

رحمته؛ حتىٰ نتجنبه، وحتىٰ نقوم بالدعوة إلىٰ الخير، وإلىٰ ترك الشر علىٰ بصيرة وعلىٰ علم، والرسل عليهم الصلاة والسلام بُعثوا لهذا الأمر كما تقدم، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وهكذا الكتب أُنزلت لهذا الأمر كما سبق، قال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ [هود: ١، ٢]، وقال جل وعلا: ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، فالكتب المنزلة من السماء كلها تدعو إلىٰ طاعة الله ورسوله، والإيمان به، والوقوف عند حدوده، وهكذا الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم بُعثوا لبيان حق الله، وإرشاد الناس إلىٰ ذلك من قول وعمل وعقيدة.

فالواجب علىٰ أهل الإسلام التفقه في العبادة التي خُلقوا لها وهي توحيد الله، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، هذه هي العبادة التي خُلقنا لها جميعًا، توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ بأفعالنا، وبجميع عباداتنا من قول، وعمل، واعتقاد، وطاعة الأوامر، وترك النواهي، أما معنىٰ قوله سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦] فالمعنىٰ: يطيعوني، بإخلاص العبادة له وحده، وبفعل الأوامر، وترك النواهي، والوقوف عند الحدود.

والدعاة إلىٰ الله وعلماء الحق هم خلفاء الرسل، وهم الورثة للرسل في الدعوة إلىٰ الخير، وبيان طريق السعادة ليُسلك، وبيان طريق الشقاء والهلاك ليُجتنب ويُحذر، وعنوان كلمتي هذه كما سبق هو: (حكمة الداعي وأدب المدعو)، وهذا العنوان اختارته التوعية ووافقت عليه؛ لأن الحكمة من الداعي إلىٰ الله لها شأن عظيم، فالداعي يتحرىٰ في دعوته الكلمات المناسبة، والأوقات المناسبة، والأسلوب

المناسب؛ حتىٰ يكون ذلك أقرب إلىٰ النجاح، ومن أسماء الله جل وعلا الحكيم العليم؛ لأنه سبحانه يضع الأمور مواضعها عن علم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء:١١]، وهو يعلم الأشياء علىٰ ما هي عليه، ويضع أفعاله وأحكامه علىٰ ما هو اللائق به سبحانه، والمناسب لمنفعة العباد وصلاحهم، فهو الحكيم العليم في قوله وعمله، في أمره ونهيه، في كل ما يقول ويفعل سبحانه وتعالى.

فالحكيم: هو الذي يعلم الأشياء ويضع الأعمال والأقوال مواضعها، وهذا الوصف علىٰ الكمال إنما يصدق علىٰ الله عز وجل؛ لأنه العالم بكل شيء والحكيم في كل شيء سبحانه وتعالى، ومن حكمة الداعي أن يكون عنده العلم بما يدعو إليه وما ينهىٰ عنه، كما قال عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥] يعني: بالعلم، قال الله وقال رسوله.

ومن حكمة الداعي: أن يأتي بالأسلوب المناسب، والبيان المناسب، ويخاطب كل قوم بما يعقلون ويفهمون، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، يعني: علىٰ علم، وقال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، أي: بالعلم ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، أي: الترغيب والترهيب، التي تلين القلوب وتقربها من قبول الحق، ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، أي: بالأسلوب الحسن، لا بالعنف والشدة، لكن بالتي هي أحسن؛ حتىٰ يقبلوا الحق وحتىٰ ينقادوا له، وقال تعالىٰ في أهل الكتاب: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وهم اليهود والنصارىٰ، فلا يجوز جدالهم إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، فمن ظلم له شأن آخر.

وإذا كان هذا التوجيه من المولىٰ سبحانه في جدال أهل الكتاب، فالمسلمون من باب أولىٰ، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾، يعني: المدعوين من قريش وغيرهم، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال لموسىٰ وهارون عليهما الصلاة والسلام لما بعثهما إلىٰ فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، وهذا توجيه من الله سبحانه لرسوليه: موسىٰ وهارون، لما بعثهما إلىٰ فرعون؛ ليتأسىٰ بذلك الدعاة، ويتخلقوا به في دعوتهم إلىٰ الله، لا سيما مع الرؤساء والعظماء، ولا سيما في عصرنا هذا، فإن الحكمة والأسلوب الحسن والرفق من أهم المهمات في كل وقت، وفي هذا الوقت بوجه أخص، لكثرة الجهل، وغلبة الهوىٰ علىٰ أكثر الخلق، وبالشدة ينفر منك الناس ويبتعدون عنك، ولا يقبل الحق إلا من رحم الله.

وقد ذكر بعض المؤرخين: أن أحد الدعاة قابل بعض الحكام من بني العباس، فقال له: إني قائل لك ومشدد عليك، فقال له الخليفة: لا، يا أخي، ارفق بي، فلست بشرٍّ من فرعون، ولست خيرًا من موسىٰ، وقد قال الله لموسىٰ وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤] والمقصود: أن تحري الألفاظ المناسبة للمدعو، والمنصوح أولىٰ مع الرفق، يقول النبي ﷺ: «**من يحرم الرفق، يحرم الخير كله**»[1]. ويقول عليه الصلاة والسلام: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٦٧٦٧).

ثم إن لكل مقام مقالًا، فالداعي ينظر حاجة المجتمع الذي يتكلم فيه وما فشا فيه من منكرات، فيعالج تلك الأمور بالأدلة الشرعية وهي: قال الله، وقال رسوله بالأدلة، ويرفق بمن سأل، أو طرح شبهة؛ حتىٰ يوضح له الحق ويجادله بالتي هي أحسن، وحتىٰ تزول الشبهة، إذ المقصود هداية الخلق، وإخراجهم من الظلمات إلىٰ النور، وليس المقصود إظهار علمك ولا توبيخهم، وإظهار جهلهم، وإنما المقصود دعوتهم إلىٰ الخير، وهدايتهم إلىٰ الحق، وإخراجهم من الظلمات إلىٰ النور.

فالواجب سلوك الطرق والأخذ بالوسائل، التي تؤدي إلىٰ هذا الأمر، ويرجىٰ منها المنفعة.

وهكذا المدعو له آداب: منها الإنصات، والإقبال علىٰ ما يسمع من الدعوة والتذكير؛ ليستفيد ويفهم، ومنها: إخلاص النية، وأن يكون قاصدًا للفائدة، وللعلم، والمعرفة والعمل، ومنها: حسن السؤال إذا سأل، هذا كله من أدب المدعو: الإنصات، والإقبال علىٰ الناصح، والإخلاص في ذلك، وحسن الرغبة، وطلب الحق، والعزم علىٰ فعل الخير، والأخذ بالنصيحة، قال تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٦-٦٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٥].

فالمدعو مشروع له أن يقبل بقلبه وقالبه علىٰ الدعوة، وأن يريد وجه الله والدار الآخرة، وأن يؤسس بقلبه ونيته قبول الحق والعمل بالحق متىٰ عرفه ومحاربة الهوىٰ

والشيطان، وإن أهم الأمور التي يجب التنبيه عليها دائمًا هو إخلاص العبادة لله وحده، وأن يحاسب العبد نفسه؛ حتىٰ تكون أعماله وأقواله لله وحده في جميع تصرفاته: في صلاته، وفي صومه، ودعوته إلىٰ الله، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر إلىٰ غير ذلك، فيخلص لله في جميع أعماله، وأن يكون هدفه طاعة الله ورسوله وإرضاءه سبحانه، والفوز بكرامته، وأداء الحق الذي علىٰ العبد.

وأساس الدِّين وأصله توحيد الله والإخلاص له سبحانه، كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البيِّنة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[الزُّمَر: ٢،٣]، والنبي ﷺ مكث عشر سنين في مكة، يدعو الناس إلىٰ توحيد الله والإخلاص له، وينهاهم عن الشرك بالله، ويبين لهم بطلان دعوة الأصنام، ودعوة الأنبياء والصالحين، وأن الواجب إخلاص العبادة لله وحده، وهو الذي يُدْعىٰ ويُرْجىٰ، وهو الذي يتقرب إليه بالذبائح والنذور والصلاة والصوم، وغير هذا من أنواع العبادة، كما قال سبحانه: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزُّمَر: ٢]، وفي الأحاديث الصحيحة، قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس؛ حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**»[1]،- يعني: حتىٰ يشهدوا بها قولًا وعملًا واعتقادًا، فيعتقدون معناهما ويعملون به، وذلك بتوحيد الله، والإخلاص له، وترك الإشراك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم يؤدون ما أمروا به من صلاة وصوم وزكاة، وغير ذلك، ويجتنبون ما نهوا عنه.

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (١٣٣).

وفي الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**أُمرت أن أُقاتل الناس؛ حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم علىٰ الله**»[1].

فجميع المكلفين من جنٍّ وإنس، مأمورون بتوحيد الله، والإخلاص له في العبادة، وأن يصدقوا رسوله عليه الصلاة والسلام ويؤمنوا بما جاء به من الهدىٰ، وأن يعتقدوا أنه عبد الله ورسوله، أرسله الله إلىٰ الناس كافة من الجن والإنس، وجعله خاتم الأنبياء، وأوجب علىٰ جميع المكلفين الإيمان به وتصديقه، واتباع شريعته عليه الصلاة والسلام.

ثم علىٰ كل فرد أن يؤدي الحقوق، التي عليه بعد توحيد الله، والإخلاص له، وترك الإشراك به، والإيمان برسوله محمد عليه الصلاة والسلام، وبكل ما أخبر به الله ورسوله، يجب أن تؤدي الحقوق التي أوجب الله عليك؛ من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وبرِّ الوالدين، وصلة الرحم، وصدق الحديث، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، والدعوة إلىٰ الله والجهاد في سبيله... إلىٰ غير ذلك، مع الحذر من كل ما نهىٰ الله عنه، وأعظم ذلك الشرك بالله، فإنه أعظم الذنوب، وهكذا جميع المعاصي، عليك أن تحذرها؛ من العقوق، والزنا وشرب المسكر، وقطيعة الرحم، وأكل الربا، إلىٰ غير ذلك مما حرم الله، فالمؤمن والمؤمنة عليهما الجهاد للنفس؛ حتىٰ يستقيم المؤمن علىٰ طاعة الله ورسوله، وحتىٰ تستقيم المؤمنة علىٰ طاعة الله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (١٣٣).

ورسوله في جميع الأحوال: في الشدة والرخاء، في الليل والنهار، في السفر والإقامة، وفي كل وقت وفي كل مكان، كل واحد يجاهد نفسه؛ حتىٰ يستقيم علىٰ أمر الله، وحتىٰ يدع ما حرم الله، وحتىٰ يقف عند حدود الله.

والصلاة هي عمود الإسلام، وأعظم الواجبات، وأهم الأمور بعد الشهادتين، فالواجب علىٰ كل مؤمن ومؤمنة العناية بالصلاة، والمحافظة عليها في أوقاتها، وأن يؤديها كل منهما بطمأنينة، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، وعلىٰ المؤمن أن يحافظ عليها في الجماعة في بيوت الله، لا يتشبه بالمنافقين والكسالىٰ، بل ويسارع إليها، ويحافظ عليها مع إخوانه في بيوت الله كل وقت، قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [البقرة: ٤٣] - يعني: صلوا مع المصلين، وقال النبي ﷺ: «**من سمع النداء، فلم يأت، فلا صلاة له إلا من عذر**»، قيل لابن عباس: ما هو العذر؟ قال: خوف أو مرض، وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه فجاءه رجل أعمىٰ، فقال: يا رسول الله، ليس لي قائد يقودني إلىٰ المسجد، فهل لي من رخصة إذا صليت في بيتي ؟ قال: «**هل تسمع النداء للصلاة ؟**» قال: نعم، قال: «**فأجب**»[1].

فهذا رجل أعمىٰ، ليس له قائد، يقال له: أجب، فكيف بحال غيره؟!!

فعلىٰ المسلم أن يحافظ علىٰ هذه العبادة العظيمة، التي هي عمود الإسلام، من حفظها، حفظ دينه، ومن ضيعها، فهو لما سواها أضيع، وقد ذكر مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موطئه عن نافع «أن عمر رضي الله تعالىٰ عنه كان يكتب إلىٰ عماله وأمرائه، ويقول

---

(١) أخرجه مسلم (١٥١٨).

لهم: «إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها؛ حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع»[١].

وكثير من الناس اليوم ليس عنده عناية بالجماعة، وهذا خطر عظيم وشر كبير، وربما ترك بعضهم صلاة الفجر، فلم يصلها إلا بعدما تطلع الشمس، ويقوم لعمله وهذا منكر عظيم، فالصلاة عمود الإسلام، من حفظها، حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، والله يقول سبحانه: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فالواجب العناية بها والمحافظة عليها في أوقاتها، وفي الجماعة في حق الرجل، يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر: ترك الصلاة**»[٢]، ويقول ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[٣]، وهذا وعيد عظيم، وقد ذهب جمع من أهل العلم إلىٰ أن ذلك كفر أكبر، وأن تركها كفر أكبر، وإن لم يجحد وجوبها، أما إذا جحد وجوبها، فهذا كفر أكبر عند جميع العلماء، فالواجب الحذر، وأن نحافظ عليها في الجماعة، وأن نعظمها ونؤديها بقلب حاضر وخشوع وإقبال، نرجو ثواب الله ونخشىٰ عقاب الله.

وهكذا زكاتك حق المال، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة، عليك أن تعتني بها، وأن تؤديها عن طيب نفس، وعن رغبة فيما عند الله، وأن تجتهد في تخليص مالك منها، وأن تضعها في يد المستحقين لها، ترجو ثواب الله، وتخشىٰ عقاب الله.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٦)، وضعفه العلامة الألباني في المشكاة (٥٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

وهكذا صوم رمضان، عليك أن تصومه في وقته، وأن تحافظ عليه، وأن تصونه مما حرم الله من غِيبة، ونميمة، ومن سائر المعاصي.

وهكذا حج البيت في حق من استطاع السبيل إليه، يجب عليه أن يحج من رجل وامرأة مرة واحدة في العمر؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] الآية، وقول النبي ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس**»[1]، وذكر منها الحج.

وهكذا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، عليك أن تعتني بهذا مع أهل بيتك، ومع جيرانك، ومع غيرهم من إخوانك المسلمين، لكونه من أهم أخلاق المؤمنين والمؤمنات، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١]، هكذا المؤمنون والمؤمنات جميعًا ذكر الله سبحانه، أنهم أولياء ليسوا أعداء، بل بينهم المحبة والإخاء والتعاون على الخير، وهكذا يجب على المؤمنين والمؤمنات أن تسود بينهم المحبة والإخاء، والحب في الله، والبغض في الله، وأن يكونوا بعيدين عن الكذب والخيانة، والغِيبة والنميمة، وعن شهادة الزور، وعن كل ما يسبب الفرقة والاختلاف والشحناء، وأوضح سبحانه أنهم: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، وقدم ذلك على الصلاة والزكاة، لعظم الفائدة والمصلحة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي آية أخرى وصف الأمة كلها بأنها تأمر

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٢٠).

بالمعروف، وتنهىٰ عن المنكر- يعني: أمة الإجابة - كما في قوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠] وما ذلك إلا لأهمية هذا الواجب وعظم المصلحة فيه.

فعلىٰ المؤمن أن يقوم علىٰ أهل بيته بالدعوة إلىٰ الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنك،ر من زوجة وأولاد وغيرهم، ينصحهم جميعًا، ويحذرهم من معاصي الله، ويحثهم علىٰ الصلاة، والمحافظة عليها في أوقاتها، ويحثهم علىٰ كل ما أوجب الله، وينهاهم عما حرم الله عليهم، ويحذرهم من الغِيبة والنميمة، ومن إيذاء بعضهم لبعض، ومن إيذاء الجيران، ومن تخلف الرجال عن الصلاة في الجماعة إلىٰ غير هذا، عملًا بهذه الآية الكريمة وهي قوله سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ الآية، وعملًا بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] الآية.

وبقول الله جل وعلا لنبيه ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وبقوله سبحانه عن نبيه ورسوله إسماعيل عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

فأنت- يا عبد الله- عليك أهلك، جاهدهم في الله بالحكمة، والكلام الطيب، والشدة تارة، والرخاء تارة أخرىٰ، من لم ينفع فيه اللين والكلام الطيب؛ يُنتقل معه إلىٰ القوة والتأديب، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فمن ظلم؛ يعاقب بما يستحق حسب الطاقة، وفي حدود الشرع المطهر، والنبي عليه الصلاة والسلام، قال: «مروا أبناءكم

بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»[1]، فإذا ما نفع الكلام يضرب، هكذا مع الفساق والعصاة إذا لم تجد فيهم النصيحة، والتوجيه إلىٰ الخير وجب علىٰ المسئولين أن يؤدبوا، ويزجروا بما يردع عن الباطل، ويقيم الحق.

وعليهم أن يقيموا الحدود الشرعية علىٰ أهلها حسب الطاقة؛ لقول الله سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]؛ ولهذا قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[2]، فأنت – يا عبد الله – عليك أن تجتهد حسب طاقتك في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مع أهلك، ومع جيرانك ومع غيرهم من المسلمين، مع تحريك الأسلوب الحسن، لعلك تنجح ولعله يستجاب لك، وإذا قدرت باليد كضرب ولدك، أو ضرب زوجتك عند مخالفتهما لأمر الله، وعدم انصياعهما للدعوة والحق والهدىٰ، وهكذا خادمك إذا لم يقم بالواجب، ولم يقبل النصيحة.

والمقصود: أن المؤمن يسلك مسلك الحكمة في جميع أموره بالكلمة الطيبة، والأسلوب الحسن مهما أمكن، فهذا هو المقدم، فإذا دعت الحاجة إلىٰ الضرب، أو التوبيخ؛ حين تستطيع الضرب أو التوبيخ، فافعل ذلك حسب طاقتك علىٰ قدر ما يحتاج إليه مع من تستطيع من ولد، أو زوجة، أو غيرهما، والأمير مع من تحت يده، والهيئة علىٰ حسب ما عندها من التعليمات، وولي الأمر كذلك، كل عليه نصيبه، وكل عليه واجبه في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإلزام الناس بالحق؛ لأن هذه الدار هي دار العمل، وهي دار المجاهدة، وهي دار الدعوة، وهي دار التوجيه

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥)، وصححه العلامة الألباني في «الإرواء» (٢٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٦).

إلىٰ الخير، وهي دار الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والآخرة هي دار الجزاء. يقول سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

فلا يجوز التساهل وتمشية الأمور، وأنت قادر علىٰ إنكار المنكر، وإيجاد الحق، وعلىٰ التوجيه والإرشاد، وعندك علم، يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فُصِّلَت: ٣٣]، ويقول جل وعلا:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فعليك- يا عبد الله- أن تقوم بالواجب من الدعوة والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلىٰ إخوانك المستمعين والمأمورين أن يستجيبوا للحق، وأن يتأدبوا بالآداب الشرعية من قول الحق وإيثاره والرضا به، وتقديمه علىٰ الهوىٰ، هذا هو طريق السعادة.

ويقول سبحانه في كتابه العظيم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٣٧- ٤١]، فمن خاف مقام الله وراقبه سبحانه قبل النصيحة، وخضع للحق وقبله، وتأدب بالآداب الشرعية، وسارع إلىٰ ما أوجب الله، وإلىٰ ترك ما حرم الله، فالهوىٰ يفضي بأهله إلىٰ النار، ويفضي بأهله إلىٰ الضلالة، وإلىٰ سوء المصير، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال

تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

فبيَّن سبحانه أن الواقع أمران وهما: إما الاستجابة لله والرسول، وإما اتباع الهوىٰ، فقال سبحانه: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ يعني: يا محمد ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾.

ويقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فالله ورسوله إنما يدعوان لما يحيي العباد، وينقذهم من الضلال، فالحياة والسعادة في قبول الدعوة لما أمر الله به ورسوله، وفي الأخذ بما شرع الله، هذا هو طريق السعادة، وطريق الحياة، وطريق النور، قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فالكافر ميت وفي ظلمة، وحياته: بالإيمان والإسلام، والنور هو ما جاء به الرسول من الإيمان والهدىٰ والعلم النافع في القرآن والسنة، لا يستويان، لا يستوي الكافر الميت البعيد عن الهدىٰ، مع المؤمن الذي قد أعطاه الله النور والهدىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

فبيَّن سبحانه أن ما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة هو الروح وهو النور، فالقرآن والسنة هما الروح الذي تحصل به الحياة، وهما النور الذي تحصل به البصيرة، فكلما قوي علمك بالكتاب والسنة، حصل لك الروح الطيبة والنور، وكلما قل علمك ضعفت الحياة وضعف النور، فالحياة السعيدة لمن أخذ بالوحي واستقام عليه، حيث يحصل به النور وهو البصيرة؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا

نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، فأنت يا عبد الله، وأنت يا أمة الله، كلاكما عليه أن يحرص علىٰ هذا النور، وعلىٰ هذه الحياة بتدبر القرآن العظيم، والعناية بكتاب الله، والحرص علىٰ سنة الرسول ﷺ، وسماعها من أهلها ومراجعتها في الكتب الصحيحة، وسؤال أهل العلم المعروفين بحسن العقيدة والسيرة، طالب العلم يسمع من الواعظين، والمذكرين، والمرشدين في المساجد، وفي خطب الجمعة، وفي الإذاعة مثل: إذاعة القرآن الكريم، وفي «نور علىٰ الدرب» وفي غير هذا من طرق التبليغ لما قاله الله ورسوله، فمن حرص عليها؛ وجدها واستفاد منها، لكن المصيبة العظيمة هي الإعراض والغفلة واتباع الهوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣]، وهل ترضىٰ أيها المؤمن، وهل ترضين أيتها المؤمنة، بمشابهة هؤلاء الكافرين في الإعراض عن دين الله؟! وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧]، فلا أحد أظلم من هذا الصنف من الناس، فاحذر - يا عبد الله - أن تكون منهم، ويقول جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]، والأنعام هي: الإبل والبقر والغنم، شبه سبحانه من أعرض عن دينه، وغفل عن اتباع الحق بهذه البهائم؛ لعدم انتفاعه بما بعث الله به رسوله ﷺ من الهدىٰ ودين الحق، وجعلهم سبحانه أضل من الأنعام؛ لأنهم أعطوا عقولًا وأسماعًا وأبصارًا، فلم يستفيدوا منها في اتباع الحق، فصاروا بذلك شرًّا من الأنعام، وأضل منها.

وقال ﷻ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ

هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

فهل ترضىٰ يا عبد الله، وهل ترضين يا أمة الله، بمشابهة الأنعام في عدم معرفة الحق واتباعه؟! فعليكما بالجد في فهم القرآن والسنة، وفي التعلم والسؤال عما أشكل عليكما، والعمل بالحق؛ حتىٰ لا تشبها هذه البهائم، فمن جد وجد، ومن خاف أدلج؛ ومن أدلج بلغ المنزل، فالمهم الصدق في طلب الحق، وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ قال: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»[1]، أخرجه الترمذي رحمه الله بإسناد حسن، فمن خاف صادقًا تعلم وتفقه، قال تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]، علق الحكم بالخوف؛ لأن الخوف الصادق يحمل علىٰ طاعة الله ورسوله، ويحمل علىٰ التفقه والتعلم، وعلىٰ ترك كل ما نهىٰ الله عنه ورسوله، ومن هذا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [المُلك: ١٢]، فالخشية لله، والخوف منه كل ذلك يقتضي الجد في طاعة الله، والتعلم، والتفقه في الدين.

والمقصود من هذا كله: التنبيه علىٰ أن الواجب علىٰ كل مؤمن ومؤمنة التفقه في دين الله، والتبصر، والتعلم، والعمل، فالإعراض والغفلة من دلائل الهلاك، وأن الله ما أراد بالعبد خيرًا، والإقبال علىٰ الله والتعلم، والتفقه في الدين، والسؤال من دلائل الهداية والصلاح، وأن الله أراد بالعبد خيرًا، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من يرد الله به خيرًا؛ يفقهه في الدين**»[2]، فالتفقه في الدين والتعلم، وقبول النصائح، وحضور المواعظ، والاستفادة منها، والإقبال بالقلب علىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣١١٦)، ومسلم (٢٤٣٦).

ذلك من الدلائل علىٰ أن الله أراد بالعبد خيرًا، والإعراض عن ذلك، والغفلة عن العلم والتعلم من الدلائل علىٰ أن الله أراد بالعبد شرًّا، نسأل الله العافية.

فعليك يا عبد الله، بالحرص علىٰ قبول الحق، وعلىٰ الأخذ بأسبابه، وعلىٰ الإقبال بقلبك عند الموعظة والذكرىٰ، وأن يكون همك وقصدك أن تفهم حكم الله، وأن تعرف مراد الله وتعمل به، وأن تعرف ما يغضب الله؛ حتىٰ تجتنبه، والله سبحانه يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤]، ويقول عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٩] الآية.

وأسأل الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأن يهدينا جميعًا صراطه المستقيم، وأن يجعلنا وإياكم من المسارعين إلىٰ كل خير، والمتباعدين عن كل شرٍّ، وأن ينصر دينه، ويُعلي كلمته، وأن يوفق ولاة أمرنا لكل خير، وأن ينصر بهم دينه، وأن يصلح لهم البطانة، وأن يعينهم علىٰ كل خير، وأن يعيذهم من كل شر، وأن يوفق جميع المسئولين لكل ما فيه رضاه، وإلىٰ ما فيه صلاح العباد والبلاد، كما أسأله سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يولي عليهم خيارهم وأن يصلح قادتهم، وأن يمنحهم الفقه في الدين والثبات عليه، إنه سميع قريب.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

* * *

الفهرس